اللَّبْس التّركيبيّ في العربيّة : المواضِعُ والنّماذج

في مقاصدِ العنوان:

لعلّه يحسن أنْ أشرعَ في الخوضِ في ثلاثة مطالبَ أعدّها من المقرَّرِ المسْتَحْكِم ، وأوّلها أنّ ظاهرة اللّبس تتجلّى في مستويات اللّغة المتباينة ، كاللّبس الواقع في المستوى الصوتيّ ، والصرفيّ ، والتركيبيّ ، والمعجميّ ، و الأسلوبيّ . وثانيها أنّ اللّبس ظاهرةٌ لغويّة عامّة ليست العربيّة بِدَعا بين اللّغات في هذه الظّاهرة ، وهذا يعيدنا ثانيةً إلى استرفاد أنظار "تشومسكي" المعجِبةِ القائلة "بالعموميّات اللّغويّة" ، فليست ثمّة لغة تخلو منها. وثالثها التّفريق بين مصطلحين يتداخلان في يومنا هذا ، وهما اللّبس والغموض ؛ إذ ليس كلّ غموضٍ لَبسا ، فاللّبس معناه تعدُّد المعاني ، وانتفاءُ الوقوف على أحدهما على وجه التّعيين ، مثل "مخْتار" في اللّبس الصّرفيّ التي تحتملُ معنى الفاعليّة والمفعوليّة ، و"ضَرْب الوالدَين" في اللّبس التّركيبيّ ، و"العَيْن" في اللّبس المعجميّ ، فانتفاءُ عهدنا بمعنى كلمةٍ ما هو غموض ، وأحسبُ أنّ الدّائرة الدّلاليّة التي تتربّع عليها كلمةُ الغموض أوسعُ مِن دائرة دِلالة اللّبس ، فاللّبس يدور في فلكِ الاحتمال ، وتعدّدِ المعاني ، والافتراق عن مَقْصِد الكلام ، وقد يتجلّى ذلك في الأنماط المتَخلِّقةِ مِن التّصويتِ والتّصريفِ والتّركيب والمعجم والأسلوبِ . أمّا الغموض فهو يلتقي مع اللّبس ؛ ذلك أنّ كلّ لبس هو غموض ، وليس كلّ غموضٍ لبساً ؛ فقد يكون الغموضُ آتياً مِن غرابةِ الكلمة المعجميّة ، أو مِن بعضِ التّراكيبِ غير الملبسة.

مواضعُه وأمثلته :

تقدّمتْ إشارة إلى اللّبس الآتي مِن التّصريف ، وتبيّن أنّ مضمارَه القوالبُ التّصريفيّة والأبنية ، أمّا لبس هذا المطْلَب ، فهو واقع في التّركيب ، وليس معنى هذا أنّ اللّبس في هذا المضمارِ آتٍ من صعوبة المفرداتِ وغموضِها في سياقِها ، بل الأمر بالضّدّ ، فقد يحدث أنْ يَرِدَ على المرء جملٌ سمحةُ القياد في ظاهرها ، ولكنّها مُعتاصة في دلالتِها لما يكتنفُها من لبس واقع في تركيبها[1]، وليس يصحّ في الفهم أن تُوصف الجملةُ بأنّها شريط أفقيٌّ متسلسل يُقتَنصُ المراد منه بالنّظر إليه ، والاكتفاءِ به ، فثمّة جملٌ ملبِسة محتمِلة ، ومن ذلك:

1- نصحتُ لأختي أن تبقى مع أمّي لأنّها مريضة

2- مررتُ برفيق أخي محمّدٍ

3- قابل محمّدٌ سعيداً ضاحكاً[2]

4- ما ظلمتُك وأنت تنصفني

لننظرْ في الجملة الأخيرةِ التي يقع تحتها معنيان متضادّان ، إنّها تعني : ما ظلمتُك وأنت أيضاً لم تظلمني ، بل كان مذهبُك إنصافي. وقدْ تعني: ما ظلمتُك لو أنصفتني[3]. ومِن هنا تأتي ثورة "تشومسكي" على

---

(1) انظر : سيرل، جون – تشومسكي والثورة اللغويّة، الفكر العربي، العدد7، كانون الأول، تصدر عن معهد الإنماء، الكويت 1979، 126..

(2) سيأتي بيان عن هذه الجمل الملبسة بَعْداً.

(3) انظر : ابن الأنباريّ – الأضداد، 126.

بعض مقولات البنيويّة ؛ ذلك أنّها تقف عاجزةً أمام جمل غامضة مُبهَمَة[4]، ومن أمثلته: قَتْلُ الصّيادين، فهي بنية سطحيّة مُوهِمة ؛ إذ إنّ تحتها بِنيتَين عميقتين ، "فهي تُمثَّل تمثيلاً مُبهَما على المستوى التّحويليّ"[5]، وقدْ كان هذا النّظر الثّاقبُ المسوّغَ الأوّلَ لدراسة التّراكيب وفاقاً للنّظريّة التّحويليّة ، "فقدْ وجدنا أمثلةً من الجمل التي تُفهَم بأكثرَ من طريقةٍ واحدة ، وهذا مبّرر مستقلّ، ودافع لوصف اللّغةِ طبقاً للبنية التّحويليّة ، فمن أجل أنْ نفهم جملةً ما مِن الضروريّ أن نعرف جملَ النّواة التي اشْتُقَّتْ منها هذه الجملة[6]".

وفيما يأتي محاولة لاستشرافِ المواضع التي ترشّحُ لتخلُّقِ اللّبس في المستوى التّركيبيّ ، وليس المقْصِد أنْ أقف عند البِنى العميقةِ في كلّ جملةٍ على التّعيين ؛ فهذا مَطلبٌ يطول ، والحقّ أنّ البحث عن علّةِ العلّة يفضي إلى العَود على ما تقدّم آنفاً ؛ أعني تجاوزَ البنى السطحيّة ، واستشرافَ ما يقع تحتها مِن بنى عميقةٍ مؤلِّفَة ؛ ذلك أنّ المعنى مركوز فيها.

1- مرجعُ الضّمير:

كثيراً ما يَعْدِل المتكلّم عن تكرارِ الأسماءِ معوّلاً على بديلٍ يقوم مقامَها ، وهو الضّمير ، والظّاهر أنّ للعدول أسباباً خاصّة كالاختصارِ ، والفخامةِ بشأن صاحبه ، والتّحقير[7]، ثمّ إنّ الاستعانة بالضّمائرِ تعمل على تجنّب الرّتابةِ و رداءة التّأليفِ ، ولعلّ هذا يتجلّى عند العودِ إلى الأصلِ ، وردِّ الضّمائر إلى مراجعِها في سياقٍ جُمْليّ ، ومِن ذلك.

ذهبَ الأولادُ إلى مدرستهم (الأولاد)، وقد قابلهم (الأولاد) مدير المدرسة فأمرهم (الأولاد) بالمواظبة على تدريبهم (الأولاد). وليس تعالُق الضّمائر بالمراجع أمراً مُلقًى على عواهنه ؛ ذلك أنّ المطابقةَ مُحْتَكَمٌ رئيس في تقرير السّلامة اللّغويّة ، وفي ربط الضمير بمرجعِه ، ومِن ذلك:

1- ذهبتُ إلى زيد لأنّه مريض

2- كانَ الرّجل يتمايل تمايلاً كالشّجرة التي تداعبها الرّيح

فالمطابقة – وهي قائمةٌ على استرفاد بعضِ الفصائل النّحويّة- المحتَكَم في تعيين المرجع ، ففي الجملةِ الأولى مرجع واحد وضمير ، وهما متطابقان في الجنس " التّذكير" ، والعدد "الإفراد"، وليس ثمّة مرجع ثانٍ، ولذا يتعيّن ربطُ الضّمير بمرجعه المتقدِّم "زيد".

---

(4) ومن ذلك:
I found the boy studying in the library.
The shooting of the hunters.
Old men and women
Kooij- Ambiguity,59-60.

انظر : تشومسكي – البنى النحوية، 114- 117، انظر :

(5) المرجع نفسه، 117.

(6) المرجع نفسه، 123. ولمزيد بسط القول في مفهوم البنى العميقة انظر : تشومسكي – تأملات في اللغة، 74-91.
Kats, J., Semantict Theory.P384-411.

(7) انظر : الزركشي – البرهان، 4/24-25.

أمّا الضّمير المتّصلُ بالفعل " تداعبُها" فقد تقدّمه اسمان ، وهما " الرّجل" و "الشّجرة"، وقواعد المطابقة تأبى عودَه على الرّجل ؛ ذلك أنّه لا يتّفق معه في فصيلةِ الجنس ، فالرّجل مذكّر ، والضّمير مؤنّث ، أمّا الضّمير والشّجرةُ فبينهما مطابقةٌ في الجنس والعدد ، ولذا تعيّن عود الضّميرِ عليها.

وقد يحدث أحياناً أنْ يتقدّم الضّميرَ مرجعان يتطابقان وملامحَه ، ولكنّ هذا الملحظ لا يُؤْذِن باشتباه في تعيُّن أحدهما مرجعاً ضابطاً للمعنى ، فلو أنّه قيل : "**تَرك الطّفلُ السّرير لأنّه مكسور**" لاقتنص السّامع من جملةِ المتكلّم أنّ المكسورَ هو السّرير لا الطّفل ، والمفارقة اللّطيفةُ هنا أنّ ثمّة تطابقاً جليّاً بين الضّمير والسّريرِ في العدد والجنس ، ولكنّ الإلف اللّغويّ و العلاقاتِ السّياقيّة، والتّعويلَ على حقائق الحياة ، ومنطقِ الأشياء في العالمِ الخارجيّ ؛ كلّ ذلك يعمل على توجيهِ العقل نحو المتعيِّن[8]، ولكنّ هذا لا ينفي أنْ يَرِدَ على السّامعِ جملٌ يكتنفُها لبس آتٍ من هذا المطلبِ ، مطلبِ تعيينِ المرجع.

لننظرْ في الجمل الآتيةِ:

1- نصحتُ لأختي أن تبقى مع أمّي لأنّها مريضة.

2- زار أبي الطبيبَ لأنّه مريض

3- استأذن أخي أبي أن يتكلّم

4- طلب أخي إلى أبي أنْ يتكلّم.

تقدّم آنفاً أنّ للمطابقةِ فضلاً في تعيين المرجعِ ، والحقّ أنّها في الوقت نفسِه باعث اشتباه ، فإذا ما عَرَضَ في جملة ما مرجعان متّفقان في ملامحهما مع ملامحِ الضّمير فإنّ ذلك مَزْلَقَة للولوج في اللّبس في بعض الأحيان ، ففي الجملةِ الأولى نجد أنّ تطابقاً واقعاً بين الضّمير والاسمين اللّذين يتقدمانه : " أختي وأمي"؛ ذلك أنّ الضّمير يدلّ على التّأنيثِ والإفراد ، والأمّ والأختُ لا تخرجان عن هاتين الفصيلتين ، ولذلك يقع الخاطرُ في حَيْرَة واشتباهٍ باعثُها تعيين المرجع ، أهو الأمّ أم الأخت:

1- نصحتُ لأختي أن تبقى مع أمّي لأنّها " أمّي" مريضة.

2- نصحتُ لأختي أن تبقى مع أمّي لأنّها " أختي" مريضة.

أمّا الجملة الثّانية فهي مُحْتمِلة كسابقتها ؛ ولعلّ حقائقَ الحياة التي تحدّث عنها Schlesinger لا تشفع للقارئِ في هذا المقام ، وإنْ كانتْ ترجّح عَود الضّمير على " أبي"، ولكنْ قد يحدث أنْ يكون المريضُ هو الطبيب ، وقدْ ذهب أبي لزيارته لتلكم العلّةِ الحادثة، ولِما بينهما مِن لُحْم وتآصر ، والأمران محتمِلان غير متدافعين ، والمفارقة في هذا كلّه أنّ المطابقةَ التي هي مَعْلَمُ إبانةٍ غدتْ في سياقها مَعْلمَ اشتباه واحتمال.

عَوْدًا على حقائق الحياة ، ذلك أنّها تُقرِّرُ مرجع الضّمير في الجملة الثّالثة ، فليس يصحّ فيما ران عليه إلفنا ومعتقدنا أنْ يستأذنَ الأبُ ابنَه ليتكلّم ، بل الأمرُ بالضّدّ ، ولذا يتعيّن عودُ الضّمير المستتر على " أخي" ، والمعّول عليه في هذه الإبانةِ وكشفِ اللّبس منطقُ الأشياء في العرفِ اللّغويّ وحقائق الحياة.

---

(8) انظر : حديث Schlesinger عن حقائق الحياة وفضلها في التواصل:

Production and Comprehension of Utterances, Lawrence Erlbaum, N. J. 1977,p150-159. نقلاً: عن: داود عبده – دراسات في علم اللغة النفسيّ، 13.

أمّا الجملة الرّابعة فهي متردِّدةٌ بين معنيين ، أوّلهما أنْ يعودَ الضّمير المستتر في "يتكلّم" على " أبي"، وثانيهما أنْ يعودَ على " أخي" وكلاهما مُتقبَّل صالح في ذلك السّياق ، ويظهر أنّ حقائقَ الحياة في هذه الجملةِ لم تشفع ؛ ذلك أنّ الطّلبَ قدْ يقع من الاثنين.

وقدْ يكون موضع اللّبس "مرجعُ الضّمير" إمكانةً مِن إمكانات الإلباس لمن أراد تعميةً وتغطية لأغراضٍ في النّفس شتّى ، ومِن ذلك قول خالد بن عبد الله القَسْريّ على المنبر: "إنّ أمير المؤمنين كتبَ إليّ أنْ ألعن عليّا ، فالعنوه ، لعنه الله "فأوهم أنّ الضميرَ في قوله :" فالعنوه ، لعنه الله" عائد على عليّ رضي الله عنه، وإنّما الأمرُ بالضّدّ ، فهو عائدٌ على الآمر له بلعنتِه ، فأُنكرِت عليه هذه الفِعلة[9].

يقول الله – تنزّه – في التّنزيل:

1-﴿وَما أصابَ مِن مصيبةٍ في الأرضِ ولا في أنفسِكم إلاّ في كتابٍ مِن قبلِ أنْ نبرأَها﴾[10]

موضع النّظر قولُه تبارك " نبرأها"؛ ذلك أنّ قواعد المطابقة تبيح عودَ هذا الضّمير "الهاء" على ثلاثةِ مراجعَ متقدّمة:

أوّلها: أنّها تعود على النّفس: مِن قبل أنْ نبرأ النّفس

وثانيها: أنّها تعود على الأرضِ: مِن قبلِ أنْ نبرأ الأرض

وثالثها: أنّها تعود على المصيبة: مِن قبل أنْ نبرأ المصيبة[11].

والذي ينبغي التّنبيه إليه بعدَ هذا العرض ألاّ يُذْهَبَ إلى أنّ الضّمائر مِن مُعطِّلات التّواصل، فقدْ يحدثُ ألاّ يكونَ مرجع مذكور، ولكنّ الإلف والعهدَ الذهنيّ كفيلان باسترفادِ المرجع المغَيَّب، فالمتكلّم يُقدِم " عليها توسّعاً واقتداراً واختصاراً ثقةً بفهم المخاطَب، كما قال عزّ ذكره: " كلّ مَن عليها فانٍ" أي مَن على الأرض، وكما قال: "حتّى تَوارتْ بالحِجابِ" يعني الشّمس، وكما قال عزّ وجلّ: " كلاّ إذا بَلَغتْ التّراقيَ" يعني الرّوحَ، فكنى عن الأرض والشّمس والرّوح مِن غير أنْ يُجْرِيَ ذكرَها[12]"

2- الإضافة[13]:

والإضافةُ مِن المواضع المرشّحةِ لتخلّق اللّبس والاحتمالِ ، والمتعيّن مِنها أنْ يُضاف المصدرُ إلى الاسم ، وذلك نحو "ضَرْب النّاس" ، والظّاهر مِن هذا التّركيبِ السّطحيّ أنّ المضاف إليه "النّاس" متردِّدٌ بين معنيين : الفاعليّةِ والمفعوليّة ، ولكنْ، قدْ يتعيّن المراد باستشرافِ مجموعة مِن العواملِ متضافرة ، وذلك نحو منطقِ الأشياءِ في العالم الخارجيّ ، ووِشاية السّياق البنيويّ ، والمقاميّات ، وفي الأمثلةِ الآتيةِ فضلُ بيانٍ:

1- أَكْلُ الخبزِ

---

(9) انظر : ابن السيد البطليوسي – الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف ، 57-58.

(10) الآية: (الحديد، 22).

(11) انظر : مكي – المشكل، 719/2، ابن الأنباريّ – البيان ، 424/2.

(12) الثعالبيّ – فقه اللغة ، 339، والآيات(الرحمن،26)، (ص 32) ،(القيامة، 26) انظر : هذا المطلب: ابن قتيبة – تأويل مشكل القرآن، 226.

(13) انظر : مطلب الحديث عن إضافة المصدر إلى اسم الفاعل أو المفعول: المبرد – المقتضب، 13/1-21، ابن الأنباريّ – الإنصاف، 231/1 – 234، ابن يعيش – شرح المفصل 60-63، السيوطي – الأشباه والنظائر، 236/2.

2- أعجبني ضربُ زيدٍ عمراً

3- أعجبني ضربُ زيدٍ عمروُ

4- " وَلولا دَفْعُ اللهِ النّاسَ"[14]

إذا ما عُرضتْ الأمثلةُ المتقدّم ذكرُها على سلّم درجات الإبانةِ فإنّها تظهر جليّة لا شبهةَ عليها ، فمنطقُ الأشياء في العالمِ الخارجيّ يقتضي أنْ يكون الخبزُ مأكولاً لا آكلاً. وبذا يتعيّن مِن هذا التّركيبِ معنى فردٌ ، وهو معنى المفعوليّة ، أمّا الجملة الثّانية والثّالثة فالعلامةُ الإعرابيّة وتكاملُ السّياق البنيويّ يعملان معاً في تناغمٍ لتعيينِ معنى هذا التّركيبِ الذي قد يُلْبِس ، ففي انتصابِ "عمراً" وشايةٌ من السّياق البنيويّ بأنّ "زيدٍ" فاعل في المعنى ، فهو الضّارب عَمراً ، والأمرُ بالضّدّ في الجملة الثّالثة ؛ إذْ إنّ ارتفاع "عمروٌ "ذو دِلالة على أنّ "زيدٍ" مفعول به في المعنى . أمّا التّركيب الإضافيّ في الآيةِ الكريمةِ فليس يحتمل إلاّ وجهاً واحداً ؛ ذلك أنّ المعْتَقَدَ الدّينيّ ، والعُرفَ ، والسّياق البنيويّ، كلّ ذلك يقتضي هذا المعنى.

ولكنْ قد يحدث أنْ يقعَ لَبس باعثه هذا التّركيبُ الموهِمُ المكثَّف ، ومِن ذلك:

1- سَرِيّ يرغب في مساعدة الأساتذة.

2- ويكرهُ إزعاجَ الطلاّب.

3- ويحبّ زيارةَ الأصدقاء

4- نقدُ تشومسكي نقدٌ مبرَّر[15].

5- ﴿كلاّ سيكفرونَ بِعبادتِهم﴾ [16].

يظهرُ مِن هذه التّراكيبِ الإضافيّة ملحظُ اللّبس والتردّد بين المعنيين ، ولعلّه مِن التّكريرِ أنْ يُشار إلى أنّ اللبّس آتٍ مِن تجلّي البنيةِ السّطحيّة بعد استوائها على بنيتين عميقتين ، فَسَريّ يرغب في أنْ يساعد الأساتذة ، وقدْ يكون المتعيّن أنّه يرغبُ في أنْ يساعده الأساتذة ، وثمّة بَوْن بين المعنيين جليّ ، فالأساتذةُ في البِنية الأولى مفعولٌ به ، وفي الثّانيةِ فاعل . وهو يكرهُ أنْ يزعجَه الطلاّب ، وقد يكونُ المعنى مغايراً لهذا ، كأنْ يكونَ المعنى أنّه يكره أنْ يزعج الطلاّب . وهو أَلوفٌ يحبّ أنْ يزور أصدقاءَه ، أو يحبّ أن يزوره أصدقاؤه ، والجملة الثّانية شأنها شأنُ ما تقدّمها . أمّا قوله تعالى فقدْ قيل إنّ المضاف إليه متردّدٌ بين معنى الفاعليّة والمفعوليّةِ ، فإنْ كان المصدرُ "عبادة" مضافاً إلى الفاعل ، فالتّقدير :سيكفرُ المشركون بعبادتِهم الأصنامَ ، وإنْ كان مُضافاً إلى المفعولِ ، فالتّقدير : ستكفرُ الأصنامُ بعبادتِهم[17].

وممّا تعدّدتْ وجوه إعرابِه قول الشّاعر:

يَكادُ يُمْسِكُه عِرْفانُ راحتِهِ رُكنَ الحَطيمِ إذا ما جاءَ يَسْتَلِمُ[18]

---

(14) الآية (الحج، 40).

(15) هذا مثال أورده جون سيرل- تشومسكي والثورة اللغويّة، 126.

(16) الآية (مريم، 82).

(17) انظر : ابن الأنباريّ – البيان، 136/2، العكبريّ – التبيان، 881/2 أبو حيان – البحر المحيط، 202/6.

(18) الشعر للفرزدق انظر : ديوانه، 180/2، وانظر : ما قيل في إعراب البيت: الفارقي – الإفصاح، 359- 360.

إخال أنّ السّببَ الرّئيس في تباين وجهِ القول على إعرابِه آتٍ مِن هذا التّركيبِ المحتمِل "عِرفان راحتِه"؛ ذلك أنّ المصدرَ "عرفانُ" قدْ أُضيفَ إلى اسمٍ قد يكون فاعلاً أو مفعولاً مِن حيث المعنى ، ومِن وجوه الإعرابِ التي قيلتْ فيه أنّ "عرفانُ" فاعلٌ للفعل " يمسكُه"، وقدْ أُضيف إلى الفاعل ، وهو "راحته" ، والرّكن مفعول به، كأنّه في التّقدير : يكادُ يمسكه أنْ عَرَفَتْ راحتُه ركنَ الحطيم ، فالتّركيبُ الإضافيّ هنا قائمٌ على إضافة المصدرِ إلى الفاعل في المعنى ، وقدْ يكونُ المعنى بخلاف هذا الوجه ، فالعِرفانُ فاعل للفعل " يمسكه"، و "راحته" مفعوله ، و "الرّكن" هو فاعل العِرفان ، والمعنى : يكاد يمسكُه أنْ عرَفَ الرّكنُ راحتَه ، فالتّركيبُ الإضافيّ في هذا الوجه عمادُه إضافة المصدرِ إلى المفعول . أحسبُ أنّ مردّ هذا التّباينِ في فهمِ البيتِ باعثه تلكم البِنيةُ السّطحيّة التي تخبِّئ تحتَها بنيتين عميقتين.

3- خَفاء العلامةِ الإعرابيّة:

مِن بَدهيّ القولِ أنّ العلامةَ الإعرابيّة دليل هادٍ إلى المعاني النّحويّةِ العريضة كالفاعليّةِ ، والمفعوليّة، والإضافةِ ، ولكنْ ، قد يحدثُ أنْ يتعذّرَ ظهور العلامةِ الإعرابيّة تعذّراً يُفضي إلى التباسٍ في المعنى النّحويّ الذي تؤدّيه الكلمة ، وليس المقصدُ مِن هذا التّقريرِ أنّ كلّ خفاء للعلامةِ يفرز اللّبسَ والاحتمال ؛ ذلك أنّنا نَرِدُ على كثيرٍ من الجملِ التي لا تظهر فيها العلامة ، فنقتنصُ المتعيّن منها مسترفدين قرائنَ سياقيّة وأنظاراً خارجيّة ، وأمثلةُ هذا الملحظِ كثيرةٌ كثرةً تُغني عن الوقوفِ عندها.

أمّا مبحث العلّة ، علّةِ خفاء العلامة ، فالقولُ فيه طويل، ومِن ذلك المبنيّات التي يمكنُ أنْ تُوسم بأنّها "هكذا خُلِقَتْ" كسيبويهِ الذي يلتزم حركةً واحدةً في حالاته الثلاث ، و"مَنْ" و"الذي" و "التي" وغير ذلك . والأسماءُ المقصورة ممّا يتعذّر فيه ظهور العلامةِ الإعرابيّة ، وذلك نحو "عيسى" و "موسى"، والأفعال المنتهية بالألف ، ومنها يخشى ويسعى ، وقدْ يكون للعوارضِ التصريفيّة النّحويّةِ يدٌ في خفاءِ العلامةِ كإضافة الاسمِ إلى ياء المتكلّم ، فيلتزم حالاً واحدة لا تظهرُ فيها علامة الإعراب ، فيغدو كعيسى وموسى ، ومِن ذلك "أخي" و "دفتري" و "محاميّ" ، والملاحظ أنّ هذه الأسماء مُعرَبةٌ تظهر عليها الحركةُ قبل هذا الحادث ، ولكنّ اتّصالها "بالياء" يبطلُ قبول ظهور العلاماتِ الإعرابيّة عليها . وإعرابُ الجمل والمصدرِ المؤوّل ممّا يتعذّر فيه ظهورُ العلامة[19]. وفي الأمثلة الآتيةِ بيان ما تقدّم:

1- كانَ محمّدٌ صديقُ زيدٍ له بيتٌ كبير.

2- كان محمّدٌ صديقَ زيد له بيت كبير.

3- كان محمدٌ صديقي له بيت كبير

وانظر مطلب اللبس الآتي من الإضافة " The Genitive "

Kooij- Ambiguity, p100

Quik- Acomprehensive,p 1279.

(19) يشير محمد عبد اللطيف إلى ملحظ فقدان العلامة والنغمة، والاختلاف في تقدير المحذوف في تعدد المعاني، وكذلك طاهر حموده. انظر : العلامة الإعرابية،295-305، وأسس الإعراب ومشكلاته، 99-119.

يظهرُ من الجملةِ الأولى أنّ المتكلّم يشير إلى أنّ محمّداً له بيت كبيرٌ ، وفي نَفْيِ هذا الإخبار يوضِّح للسّامع مَن محمّد ، فيذكر أنّه صديق زيدٍ ، فيكون إعراب "صديق" عطفَ بيان. أمّا الجملةُ الثّانية فهي مؤتلفةٌ مِن خبرين لِ "كان" ، أوّلهُما "صديق زيد" ، وثانيهما الجملةُ الاسميّة "له بيت كبير". والظّاهر مِن هاتين الجملتين أنّ المعنى الدّقيق لا يظهرُ إلاّ بالعلامةِ الإعرابيّةِ الفارقةِ بين المعاني النّحويّةِ ، وعندَ خفاء هذه العلامةِ وتعذّرِ ظهورِها على الاسمِ المضافِ إلى ياء المتكلّمِ فإنّ المعنيين المتقدّمَين في الجملتين محتمَلان في الجملةِ الثّالثة ، فقدْ يكون مقصدُ المتكلّمِ الإخبارَ بأنّ محمّداً كانَ صديقَه ، وقدْ يكونُ الوصفَ.

ومِن مثلِ ما تقدّم قولُه تعالى: ﴿ إنّ هذا أَخي له تِسْعٌ وتسعونَ نَعْجَةً﴾[20]، فباستبدالِ كلمةٍ مكانَ " أخي" في سياقٍ مصنوعٍ يتجلّى الفرقُ المعنويّ الذي يشتبهُ باختفاء العلامة:

1 – إنّ أخي وليداً سائقٌ ماهر.

2– إن أخي وليدُ سائقٌ ماهر.

لننظرْ في الأمثلة الآتية:

1- رأيتَ رفيقَ أخي محمّدٍ

2- رأيت رفيق أخي محمداً

3- رأيت رفيق أخي مصطفى.

4- رأيت دفتر الطالب الأعمى

5-رأيت أخاً الطالب الأعمى

يظهرُ في الجملة الأولى والثّانيةِ بجلاء فضلُ العلامة الإعرابيّةِ في تعيّن المعنى النّحويّ الذي تمثّله كلمة " محمّد" ، فمجيئُها مجرورةً في الجملة الأولى معناه أنّها تابعةٌ لكلمة "أخي" ، وبذا يتعيّن معنى تضمينيّ مِن هذا التّركيبِ مفادُه أنّ للمتكلّم أخاً اسمه "محمّد" ، وليس ذلك كذلك في الجملةِ التي تعقبُها ؛ ذلك أنّ مجيء كلمة "محمّد" منصوبةً يُؤْذِن بالقولِ إنّها تابعة لكلمةِ "رفيق" ، فيتعيّنُ مِن هذا معنى تضمينيّ مفارقٌ للأوّل مفادُه أنّ اسمَ رفيقِ أخي هو "محمد". والفضلُ كلّه للعلامة الهاديةِ إلى المعنى . أمّا الجملةُ الثّالثة– وفيها يكمنُ اللّبس والاحتمال– فهي متردّدةٌ بين المعنيين المتقدّمين ، وعلّة هذا اللّبسِ تعذّرُ ظهورِ العلامة الفارقةِ في هذا السّياقِ التركيبيّ:

رأيتُ رفيقَ أخي مصطفى

أمّا الجملة الرّابعةُ فهي– وإنْ خفيتْ العلامةُ الإعرابيّة لتعذّر ظهورِها على آخر الأعمى– متجافيةٌ عن اللّبس والاحتمالِ ؛ ذلك أنّ منطقَ الأشياءِ في العالمِ الخارجيّ يقرّر أنْ تتعلّق "الأعمى" بالطّالبِ لا الدّفتر؛ ذلك أنّه لا يكونُ إلاّ لِذي روحٍ ، ولعلّ هذا التّعبيرَ المفارقَ لنواميس الكونِ (الدّفتر الأعمى) يغدو متقبَّلاً في سياقٍ إبداعيّ . أمّا الجملةُ الخامسة فهي مُلبِسةٌ محتمِلة ، وليس للسّياق البِنيويّ ولا لحقائقِ الحياة ومنطقِ

(20) الآية: (ص،23).

الأشياءِ وِشايةٌ . ها نحن أولاءِ نعودُ ثانيةً إلى خفاء العلامةِ المؤْذِنِ بالولوج في تيهِ التّعدّدِ واللّبس؛ فالأعمى قد يكونُ الطّالبَ ، وقدْ يكونُ أخاه:

رأيت أخا الطالب الأعمى

أتتك به سعادُ

أتتك به فَرَحاً.

أتتك به بُشرْى.

موضعُ النّظر في هذه الأمثلةِ المصنوعةِ " بُشرى" وهنا يظهرُ التّداخل بين المستويين : الصّرفيّ والنّحويّ ، فكلمةُ "بشرى" مشترِكةٌ بين المصدريّة والاسميّةِ ، وهذا لبسٌ آتٍ مِن الصّرف ، وينبني على هذا الاشتباهِ الصرفيّ اشتباهٌ نحويّ ، فقد تكونُ في سياقِها ذاك فاعلاً لأنّها اسم ، وقدْ تكونُ مفعولاً له منصوباً ؛ ذلك أنّها مصدرٌ . والحقّ أنّ هذا اللّبس المتردّدَ بين المستويين الصّرفيّ والنّحويّ في الجملةِ الثّالثة لا يُرفَع إلاّ بظهورِ العلامةِ الإعرابيّة المميّزةِ للمعنيين النّحويّين : الفاعليّةِ كما في الجملةِ الأولى ، والمفعوليّةِ الغائيّةِ كما في الجملةِ الثّانية.

1–هذه أختُ سعادَ النّاجحةِ

2– هذه أختُ سعادَ النّاجحةِ

3–هذه أختُ سعادَ الصّغرى

لعلّ ما تقدّم مِن بيان يغني عن تجلية اللّبس الواقعِ في الجملة الثّالثة.

1–هذا غلافُ المذكّرةِ التي ضاعتْ يومَ الخميس.

2–هذا غلافُ المذكرةِ الذي ضاعَ يومَ الخميس.

3–هذا دفترُ الغلام الذي تمزّق يومَ الخميس.

4–هذا دفترُ الغلامِ الذي ضاع يوم الخميس.

عَوداً على المطابقةِ ، فهي في المثالين الأوّلين تعملُ على بيان المعنى : "المذكّرة التي" و "الغلاف الذي". وقدْ يذهب الخاطر الأوّل إلى أنّ "الذي" تتعلّقُ بالغلام ، ولكنّ حقائق الحياةِ لا ترجّحُ هذا الخاطر الواهمَ ، ولذا يتعيّن أنْ تكونَ "الذي" تابعةً للدّفتر :"الدّفتر الذي تمزّق" . أمّا الجملةُ الرّابعة فهي محتمِلةٌ معنيين ، أوّلهما : أنْ تكونَ "الذي" في محلّ جرّ صفةٍ للغلامِ ، ولذا يتعيّن خاطرٌ في الذّهن مِن هذا السّياق مضمونُه أنّ الذي ضاع يومَ الخميسِ هو الغلام . وثاني ذَيْنِكَ المعنيين أنْ تكونَ "الذي" في محلّ رفع صفةٍ للدّفترِ ، والمعنى أنّ الذي ضاع يومَ الخميسِ هو الدّفتر ، ولا يخفى أنّ بناء "الذي" والتزامَها حركةً واحدةً في جميعِ أوضاعها يفضي إلى تعذّر ظهورِ المعنى في مثلِ هذه المواضعِ:

1–جاءَ معلّمو الأولادِ الذين يعيشونَ في القريةِ

2–هذا دفترُ الغلامِ الذي ضاعَ يومَ الخميس

3–رأيت حقيبةَ هندٍ التي فُقِدتْ أمس.

4-مررت بأختِ هندٍ التي فُقدت أمس.

يظهرُ أنّ بناء "الذي" و "التي" والتزامَهما حالةً واحدة في جميعِ الحالاتِ الإعرابيّة يفضي إلى اللّبسِ في الجملتين الأولى والثّانيةِ . لو أنّ القائلَ استغنى عن كلمةِ "التي" في الجملةِ الثّانية لكان الكلام:

رأيتُ حقيبةَ هندٍ المفقودةِ

رأيت حقيبةَ هندٍ المفقودةَ.

ولكنّ الجملةَ الثّالثة ملبسِة ، وستبقى مُلبسة وإنْ تُؤوِّلتْ:

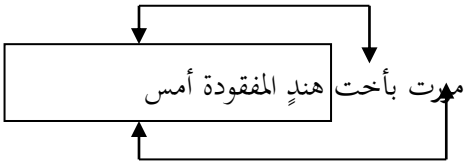

إخال أنّ الباعثَ على هذا اللّبسِ الأخير ليس آتياً مِن خفاءِ العلامةِ الإعرابيّة فقط ، بل مِن مطلبٍ آخرَ سيأتي حديث عليه ، وهو "التعلُّق"

1-أنا أعلمُ مَن في الدّار

2-لا يعلمُ مَن جهل

عَوْدَا على خفاءِ العلامةِ الآتي من البناء ، يظهر أنّ "مَنْ" الاسم الموصول يتردّدُ بين معنيين نحويّين في الجملةِ الأولى ؛ فقدْ يكونُ في محلّ نصب مفعولٍ به ؛ وذلك نحو : رأيت مَنْ جاء . وقدْ يكونُ في محلّ جرٍّ بالإضافة ، ولا يخفى أنّ ثمّة تداخلاً بين المستويين الصّرفيّ والنّحويّ في هذا المثالِ ؛ ذلك أنّ "أعلم" قالَبٌ تصريفيّ يحتمل الاسميّةَ والفعليّة . أمّا الجملةُ الثّانية فهي كسابقتِها ، ويظهر منها أنّ "مَن" تحتملُ معنيين نحويّين متضادّين ، أوّلهما الفاعليّة ، وثانيهما المفعوليّة ، ولعلّ العلّة التي أفضتْ إلى تردّد النّحويّين في إعرابِ "مَنْ" في قوله تعالى ﴿لا يَملكونَ الشّفاعةَ إلاّ مَن اتّخذَ عندَ الرّحمنِ عَهْداً﴾[21] هي خفاءُ العلامةِ في " مَنْ" ، فقيل إنّ فيها وجهين : الرّفعَ والنّصبَ ، والرّفع على البدلِ من "الواو" في "يملكون" ، والنّصب على الاستثناءِ المنقطع[22] ، وليس المقصدُ مِن إيراد هذا الأخيرِ أنْ يُعدّ لبساً ، ولكنّه الإشارةُ إلى سُهْمَةِ خفاءِ العلامةِ الإعرابيّة في تعدّدِ وجوهِ الإعرابِ.

4- التعّلق:

قدْ يحدثُ أنْ تتداخلَ العلاقاتُ السّياقيّة التّركيبيّة لتُفضيَ إلى اشتباهٍ في ربط بعضِ الكلماتِ بما تعودُ إليه ، ولهذا الاشتباهِ مواضعُ معيَّنة ، ومِن ذلك اشتباهٌ في تعلُّق الاسمِ الموصولِ في حالاتٍ مخصوصةٍ ، والصّفة،وصاحب الحال ، وتعيين المستثنى منه، ولعلّ في الأمثلةِ الآتيةِ بياناً تطبيقيّاً يجلّي هذا الوصفَ النّظريّ:

1-جاءَ غلاماً الفريقين اللّذَين خسرا المباراة.

---

(21) الآية: (مريم، 87).

(22) انظر : مكي – المشكل، 461/2، ابن الأنباريّ – البيان، 137/2 العكبريّ– التبيان، 882/2.

2-جاءَ غلاما الفريقين اللذان فازا

3- رأيت غلامي الفريقين اللذين فازا.

يظهرُ مِن الجملةِ الأولى أنّ للعلامةِ الإعرابيّة فضلاً في الإبانةِ عن المعنى ؛ ذلك أنّها تهدي القارئَ إلى أنّ "اللّذَين"تتعلّق بالفريقين لتوافقَهما في الحالة الإعرابيّةِ . والجملةُ الثّانية كسابقتِها ، فمجيء "اللّذان" مرفوعةً مَعْلَمُ إبانة عن رجوعِها إلى الاسمِ المرفوعِ وهو "غلاما". أمّا الجملةُ الثّالثة – وهي موضعُ التّمثيل – فهي محتمِلةٌ المعنيين ؛ ذلك أنّ "اللّذَين" تحتملُ عَوداً على "الفريقين" و "الغلامين" ، ويظهرُ هنا تعطُّلُ القول بفضلِ العلامةِ الإعرابيّة ؛ ذلك أنّها في "اللّذين" تحتملُ معنيين ، معنى النّصب ، ومعنى الجرّ ، ولو أنّ نواميسَ اللّغة اجترحَتْ لها حركاتٍ متمايزةً في الحالاتِ الثّلاث لما وقع هذا اللّبسُ في هذا الموضع ، ولكنّ الالتقاءَ على علامةٍ واحدة في حالتين متباينتين يُفضي في مواضعَ إلى مزالقِ اللّبس:

" مررتُ بأمّهاتِ الطّالبات اللّواتي ذهبن إلى الرّحلة"

يظهر ثانيةً اشتباهٌ في تعيينِ مرجع الاسمِ الموصول ، وهذا شبيهٌ باللّبس الآتي مِن الاشتباهِ في تعيين مرجعِ الضّمير ؛ ذلك أنّ المطابقةَ تفعل في تشكيلِ هذا اللّبس ، فتقدُّم مرجعين متطابقين متضايفين يستدعي اسماً موصولاً متردّداً في عَوْدِه عليهما:

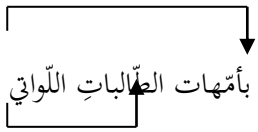

ومِن أمثلةِ اللّبس الآتي مِن "التعلّق" :

1-اشتريتُ قلمَ حبرٍ سائلٍ

2-اشتريتُ قلمَ حبرٍ طويلاً

3- اشتريتُ قلمَ حبرٍ أسودَ

يظهرُ من الجملةِ الأولى والثّانيةِ أنّ للعلامة فضلاً في ردّ الصّفةِ إلى موصوفِها ، فكلمة "سائلٍ" المجرورة تعودُ على "حبرٍ" المجرور ، وهذه مطابقةٌ إعرابيّة . أمّا في الجملةِ الثّانية فهي تقضي بعودِ "طويلاً" على "قلمَ" وفاءً بقواعدِ المطابقةِ.

أمّا الجملةُ الثّالثة فهي مُلبِسة مُشتبِهة ؛ ذلك أنّ لغياب العلامةِ الجزئيّ يداً في ذلك ، وهذا يُؤْذِن باشتباهٍ في مرجعِ الصّفةِ " أسود" ، أهو الحبرُ أم القلم ، وكلاهما صالح ، ويظهرُ أنّ التقاءَ علامتين إعرابيّتين في علامةٍ واحدةٍ هو الباعثُ على ذلك ؛ ذلك أنّ " أسودَ" – وهي ممنوعةٌ من الصّرف – تتردّد بين النّصبِ والجرّ ، وقواعدُ إعراب الكَلِم تقتضي أنْ يلتقيَ على الاسم الممنوعِ مِن الصّرف علامةٌ واحدة في حالتين متباينتين (النّصب والجرّ) ، والذي يزيدُ مِن تجلّي اللّبسِ في هذا السّياقِ هو تقدُّم مرجعين متطابقَين في الجنسِ والعددِ ، والصّفةُ تطابقهما في هاتين الفَصيلتَين ، ويبقى لغيابِ العلامةِ الجزئيّ الفعلُ في تخلّقِ لبسِ التعلّق:

اشتريتُ قلمٌ حبرٍ أحمرُ

لننظرْ فيما يأتي لبيان اشتباهٍ في مرجعِ البدل ، وتعطُّلِ القولِ بفضل العلامةِ في حالاتٍ محدّدة.

1- هذا صديقُ أخي إبراهيمُ

2- هذا صديقُ أخي إبراهيمَ

3- رأيت صديقَ أخي إبراهيمَ

4-رأيت شقيقة أختي سعادَ

الجملةُ الأولى مُبِينةٌ لا لَبس فيها ، فرفع إبراهيمَ يقتضي كونَهَا بدلاً من "صديق". والجملة الثّانيةُ – وهي مُبينة كسابقتِها – تقتضي أنْ يكونَ "إبراهيم" بدلاً مِن "أخي" . أمّا الجملةُ الثّالثةُ فقدْ اشتملتْ على المعنيين كليهما ، وقدْ حدث اشتباهٌ في تعيينِ مرجعِ " البدل" إبراهيم" ، أهو أخي أمْ صديقي ، ولا يخفى أنّ لغيابِ العلامةِ الأصليّةِ يداً في ذلك ، فالفتحةُ على "إبراهيمَ" علامةَ نصب ، وإذا كان ذلك كذلك ، تعيّن أنْ يكونَ مرجع "إبراهيم" هو الصّديق ، وهي في الآن نفسِه علامةُ جرّ، وإذا كان ذلك ، تعيّن أنْ يكونَ المرجع "أخي" . والجملة الرّابعة مُلبِسة كما الثّالثة ؛ كلّ ذلك باعثُه تعطُّل القولِ بفضلِ العلامةِ الإعرابيّة المؤدّي إلى اشتباهٍ في تعلّق الكلمةِ بمرجعِها.

1-زرتُ مساجدَ القدسِ القديمةَ

2-زرتُ مساجدَ القدسِ القديمةِ

3- أصلّي الجمعة في مساجدِ القدسِ القديمةِ

عوداً جديداً على اشتباهِ تعيين المرجع ؛ مرجعِ الصّفة ، فالظّاهرُ من الجملةِ الأولى أنّ القائلَ زار المساجدَ القديمةَ في القدس ، وأنّه زار المساجدَ في القدسِ القديمةِ في الجملةِ الثّانية ، أمّا الجملةُ الثّالثة فالمعنيان المتقدّمان محتمِلان ، ويظهرُ فيها أنّه تقدّم الصّفةَ "القديمةِ" مرجعان يتنازعان عليها ، وممّا يزيد الطّين بِلّة أنّ كلا المرجعين متماثلٌ في العلامةِ الإعرابيّة ، ومِن مثل ما تقدّم:

1-جاءَ الرّجال والأولاد من أهل القريةِ إلى المدينة.

2-سمعتُ عن النّساء والبنات الجميلات.

3-هند أبوها قائم وشريفة.

4-محمّد أمّه مدّرسة ومحاسب

5-محمّد أبوه قائم وكريم[23]

(23) لا يجوز ابن السراج هذا الوجه لأنه ملبس انظر : الأصول، 2/62-63.

كلتا الجملتين المتقدّمتين ملبسَةٌ ، فالصّفة "مِن أهل القريةِ" قد تتعلّقُ بالأولادِ ، وقد تتعلّق بكلا المرجعين "الرّجال والأولاد". والصّفة "الجميلات" محتمِلةٌ في تعلّقِها بالبنات ، أوْ تعلّقها بالنّساء والبنات معاً. والجملةُ الثّالثةُ والرّابعة لا لَبس فيهما، فليس يلتبس تعلّق "شريفة" بالأبِ لاتّحاء التّوافق في الفصيلةِ النّحويّةِ "الجنس" ، وقواعدُ المطابقةِ تقتضي عودَها على هند . والجملةُ الرّابعة كذلك ."فمحاسب" تتعلّق بالمبتدأ "محمد" . أمّا الخامسةُ فقواعدُ المطابقة تُجيز عَود "كريم" على المرجعين المتقدّمين " محمّد" و " أبوه" والمعنى المحتمِل:

محمد أبوه قائم وكريم

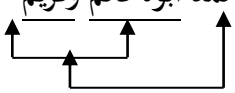

محمد أبوه قائم وكريم

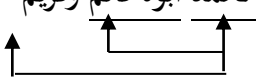

وممّا ينضاف إلى مباحثةِ اللّبسِ الآتي مِن توهّمِ "التعلّق" صاحبُ الحال ؛ إذْ إنّ الخاطرَ قد يتردّد بين شيئين في تعيينِ مرجعِ الحال ، وفي الأمثلةِ الآتيةِ فضل بيان:

1-جاءَ سريٌّ ضاحكاً.

2-قابل سرىّ بثينةَ ضاحكةً

3-قابل سريّ بثينة ضاحكاً.

4-قابل سريّ أباه ضاحكاً

5-قابل الآباء أبناءهم وهم مسرورون

6 -مررت بصالح جالساً.

يظهرُ في الجملةِ الأولى مرجعٌ واحد ، وحالٌ واحدة متعلّقة به ، دالّةٌ على هيئتِه. أمّا في الجملةِ الثّانية فثمّة اسمان تقدّما الحال ، ولكنّ قواعدَ المطابقة – أعنى فصيلةَ الجنس في هذا المثال– تشفعُ للمعنى فتتعيّن الإبانة ، وتتعلّق "ضاحكةً"، ببثينة ، والجملةُ الثّالثةُ كذلك . أمّا الرّابعةُ فهي محتمِلةٌ لا تنفعُ فيها شفاعةُ المطابقة ؛ بل هي مصدر اللّبسِ ، فالحالُ تقدّمها مرجعان متماثلان في الجنسِ ، والحالُ تماثُلهما في هذه الجهةِ ، فاقتضى هذا التّماثل أنْ يتردّدَ الخاطرُ في تعلّق الحالِ بصاحبِها بين مرجعين:

قابلَ سريّ أباه، أبوه ضاحك.

قابل سريّ أباه، سريّ ضاحك.

والجملةُ الخامسة كسابقتِها. أمّا السّادسةُ فحقائقُ الحياة ومنطقُ الأشياء في العالمِ الخارجيّ يرجّحان كونَ الحال مِن "صالح" ؛ إلاّ أنْ يكونَ القائلُ محمولاً . والمقصدُ مِن هذا المثالِ الأخيرِ فضل تحوُّط ؛ فليس يعني أنّ الحالَ إذا تقدّمها مرجعان متماثلان في الجنسِ والعددِ ، فإنّها تكونُ ملبسةً باطّراد ، فثمّة مقاميّاتٌ تعمل على درءِ اللّبسِ ، وثمّة منطقٌ للأشياء يؤثّر في إدراكِنا لهذه المادّةِ اللّغويّةِ التي لا تسيحُ في هواءٍ طلق.

ومِن مثل ما تقدّم:

1- ﴿ أنِ اتّبعْ مِلّةَ إبراهيمَ حَنيفاً﴾[24]

2- ﴿ وقاتِلوا المشركينَ كافّةً﴾ [25]

يظهرُ في الآيةِ الشّريفةِ احتمالٌ دِلاليّ ؛ ذلك أنّ الحالَ "حنيفاً" يتردّد تعلُّقها بمرجعين ، أوّلهما الضّميرُ المرفوع في "اتّبع" ، وثانيهما "إبراهيم" عليه السّلام ، وكلاهما صالح[26]. والحالُ في الآيةِ الشّريفةِ الثّانيةِ تحتملُ مرجعين ، وهما : الضّميرُ المتّصل "الواو" و"المشركين"[27].

ومِن اللّبس الآتي مِن مَلْحَظ "التعلّق" اشتباهُ تعيينِ المستثنى منه ، وذلك نحو :"علمتُ بنجاح الطلاّب ، وعودةِ الأساتذةِ إلاّ بعضَهم". وههنا يستوقف السامعَ سؤالٌ : هل يعودُ المستثنى "بعضَهم" على الكلّ : أي على الطلاّبِ والأساتذةِ ، أمْ يعودُ على الأساتذةِ فقط؟ هذه مسألةٌ عسيرةٌ ، و مستصفَى المساءلةِ فيها : إذا وردَ الاستثناءُ بعد جملٍ عُطِفَ بعضُها على بعض فهل يعودُ للكلّ؟. يظهر في هذا النّظر المشْكِلِ مذاهبُ متباينة ، ومِن ذلك أنّ الاستثناءَ يتعلّقُ بالكلّ ، وعليه ابنُ مالكٍ إلاّ أنْ يقومَ دليلٌ على إرادةِ "البعض"، أو أنّه يتعلّق بالكلّ إنْ سيق الكلّ لغرضٍ واحدٍ ، فقولنا : أَكْرِمْ العلماءَ واحبسْ ديارَك على أقاربك وأعتقْ عبيدَك إلا الفَسَقَةَ منهم " الاستثناءُ فيه للأخيرةِ فقط. أو أنّه إذا اتّحد العاملُ فللكلّ ، وإذا اختلفَ فللأخيرةِ خاصّة ، إذ لا يمكنُ عملُ العوامل المختلفةِ في مستثنى واحد[28]. ومعَ هذا يبقى هذا الموضعُ المخصوصُ مدخلاً مِن مداخلِ اللّبس التي يجبُ التّنبيهُ عليها ، ومِن أمثلةِ هذا المطلبِ:

1-قامَ الشّيخ اللّيل نصفَه إلا قليلاً

2-غلبَ مئةُ مؤمنٍ مئةَ كافرٍ إلا اثنين

يظهرُ في الجملةِ الأولى أنّ "قليلاً" صالحٌ لكونه مستثنى من "اللّيل" أو مِن "نصفه" والمعنى : قامَ اللّيلَ إلا قليلاً ، أو :قامَ نصفَ اللّيل إلاّ قليلاً . والجملةُ الثّانيةُ مُشكِلة أيضاً ؛ ذلك أنّ "اثنين" قد تقدّمها مرجعان، فقدْ تتعلّقُ بمئةِ مؤمن ، وبهذا يكونُ عددُ الغالبين منهم ثمانيةً وتسعين ، وقدْ تتعلّق بمئةِ كافرٍ ، فيكونُ عدد المغلوبين مِن الكافرين ثمانيةً وتسعين[29].

ومِن الأمثلةِ المبينة عن أثرِ هذا الموضعِ في تخلّقِ الاحتمالِ وتعدّد المعاني قوله – تنزّه –:

---

(24) الآية (النحل، 123).

(25) الآية (التوبة، 36).

(26) انظر : مكي – المشكل، 426، ابن الأنباريّ – البيان، 85/2، وقد رجحا كونها حالاً من الضمير لا من إبراهيم، لأنه مضاف إليه. وقد عدها ابن عقيل حالاً من إبراهيم مجوزاً مجيئ الحال من المضاف إليه. انظر : الشرح، 536/1.

(27) انظر : ابن هشام – المغني 733/2. العكبريّ – التبيان، 643/2.

(28) انظر : هذه الآراء: السيوطي – الهمع، 196/2– 197. وانظر : رأي ابن مالك: السلسيلي – شفاء العليل في إيضاح التسهيل، 505/1.

(29) يرى ابن مالك أن الثاني " أولى" في حالة تأخر المستثنى، ومثل بهذه الجملة وأحسب أنه رأي تحكميّ، فالجملة ملبسة محتملة للمعنيين. انظر : السلسيلي – المصدر نفسه، 505/1، السيوطي – المصدر نفسه، 197/2.

" وإذا جاءهمْ أمرٌ مِن الأمْنِ أو الخوفِ أذاعوا بِه، ولوْ ردّوه إلى الرّسولِ وَإلى أُولي الأمْرِ مِنهم لَعَلِمَه الذين يَسْتَنْبِطونَه مِنهم، ولولا فَضْلُ اللهِ عليكم ورحمتُه لاتّبعتُم الشّيطانَ إلاّ قَليلاً"[30].

وقدْ اختُلِف في تعيينِ تعلّق المستثنى، فقيل:

1- إنّه استثناءٌ من قوله تعالى: " لا تّبعتم الشّيطان إلاّ قليلاً.

2- إنّه استثناء من الضّمير " الواو" في يستنبطونه، والمعنى: لَعَلِمَه الذين يستنبطونه إلا قليلاً.

3- إنّه استثناء من الضّمير في قوله تعالى " أذاعوا به".

4- إنّه استثناء من الضّمير " الهاء" في قوله: " أذاعوا به".

5- إنّه استثناء من الضّمير في قوله: "جاءهم".

6- إنّه استثناء مِن الضّمير في قوله "عليكم"[31]

5-مرونة الجملة العربية:

ومِن المواضعِ التي تتضافرُ مع ملحظِ "التعلّق" اللّبسُ الآتي مِن مرونةِ الجملةِ العربيّةِ ؛ ذلك أنّ تغييرَ مواقعِ الكلم الأصليّة يعمل – في مواضعَ – على اشتباهٍ في العلاقاتِ السّياقيّة البِنيويّةِ ، فقدْ يطولُ الفصلُ بين العاملِ والمعمول ، فيُؤْذنُ هذا بتداخلِ العلاقاتِ البنيويّةِ ، ليعقبَه وهمٌ واحتمالٌ ، وقدْ يُحْدِثُ تعدّد العواملِ في السّياقِ الواحدِ اشتباهاً في تعيينِ المعمول الذي يتعلّقُ بعاملِه ، ولعلّ مرونةَ الجملة العربيّةِ ، وفصلَ الفعل عن مفعولِه هي التي أفضتْ إلى توهّمِ التّنازع في قولِ الشّاعر:

ولو أنّ ما أسْعى لأَدْنى معيشةٍ كَفاني وَلمْ أطلبْ قليلٌ مِن المالِ[32]

والملاحظُ أنّ جملة "لم أطلبْ" معترِضة بين العامِل "كفاني"، والمعمولِ "قليل" ، ولا يخفى أنّ بثّ عاملٍ آخرَ في هذا المُعْتَرَضِ أفضى إلى توهّمِ التّنازع ، وإلى تعلّقِ "قليل" بالفعلِ " أطلب" ، وليس ذلك كذلك البتّة لفسادِ المعنى ، وقدْ أعمل الشّاعرُ الفعلَ الأوّلَ ، والمعنى : كَفاني قليلٌ ولمْ أطلبْ .

لننظرْ في الجملِ الآتيةِ:

علمتُ قبل سفري أنّهم اشتروا السّيّارة.

علمتُ أنّهم اشتروا السّيّارة قبل سفري.

قرّرتُ يومَ الاثنين أنْ أسافر إلى عكّا.

قررتُ أن أسافر إلى عكّا يوم الاثنين.

---

(30) الآية: (النساء، 83).

(31) انظر : هذه الوجوه: ابن الأنباريّ – البيان ، 262/1. وانظر : ما قيل في إعرابها: النحاس– إعراب القرآن 475/1–476. مكي – المشكل 204/16 العكبريّ –التبيان، 376/1.

(32) الشعر لامرئ القيس، انظر : ديوانه، 39، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة 1985، 39. وانظر : البيت: سيبويه – الكتاب، 1/ 79، والمبرد– المقتضب، 76/4، ابن الأنباريّ – الإنصاف 84/1، ابن عصفور – المقرب،178، ابن هشام –المغني، 2/ 661 الأستراباذي– شرح الكافية، 158/1. الأشباه والنظائر 260/4.

عملتُ بمجيئ سريّ اليومَ.

يظهرُ مِن الجملةِ الأولى أنّ الظّرفَ متعلّق بالفعل "علمت"، والمتقرِّر مِن الجملةِ أنّ القارئَ علمَ قبلَ سفرِهِ بأنّهم اشتروا السّيّارة . ولكنّ الجملةَ الثّانيةَ محتمِلة ؛ ذلك أنّ "قبلَ سفري" تحتملُ أنْ تتعلّق بعاملين متباينين ، فقدْ يكونُ المعنى أنّ القائلَ يقرّر أنّه علمَ قبل سفرِهِ بأنّهم اشتروا السّيّارةَ ، وقدْ يكونُ المعنى أنّهم اشتروا السّيّارةَ قبل سفرِهِ ؛ كلّ ذلك مردُّه إلى مرونةِ الجملةِ العربيّةِ المفْضيةِ إلى اشتباهٍ في التعلّق.

علمتُ قبل سفري

اشتروا قبلَ سفري

أمّا الجملةُ الثّالثة فهي واضحةٌ ، والظّرف "يوم الاثنين" مركوزٌ في موضعٍ دالٍّ على تعلّقِه بالفعل "قرّرتُ"، ولما نُقِلَ مِن موضعه – في الجملةِ الرّابعةِ– وقدْ تقدّمه عاملان يتجاذبانه ، تُوهِّم في تعلّقِه فصار لدى الخاطرِ معنيان : أنّ ظرفَ القرارِ كان يومَ الاثنين ، أو أنّ ظرفَ السّفر كان يومَ الاثنين[33] :

قرّرتُ أن أسافر إلى عكّا يوم الاثنين

والجملةُ الخامسة مُلبسةٌ كسابقتِها ، فقدْ يتعيّنُ منها أنّ مجيئ سريّ كان اليومَ ، أو أنّ عِلمَ السّامع كان "اليوم"، وثمّة بونٌ بين المعنيين عريضٌ ؛ ذلك أنّ المتكلّمَ قد يقولُ الجملةَ ، وقد مضى على مجيئ سريٍّ يومان أو أسبوعٌ أو شهر ، ولكنّه لم يعلمْ إلاّ اليومَ . وقدْ يكونُ المتعيّن أنّ المتكلّمَ قالها بعد أن عيّن يومَ المجيئ ، فيكونُ زمن المجيئ وزمنُ العلمِ واحداً:

علمتُ بمجيئ سريٍّ اليومَ

1– فَرُموا بِنَقْعٍ يستقلّ عصائباً في الجوِّ مِنه ساطعٌ ومُكَتَّبُ

موضعُ التأمّلِ قوله "في الجوّ" ؛ ذلك أنّها قدْ تُرَدُّ إلى غير مرجعٍ ،كأنْ تتعلّقَ بالفعل "يستقلّ في الجوّ" ، أوْ تتعلّق بالعصائبِ : عصائب في الجوّ ، فتكون صفةً لها ، أو قد تتعلّق بـ "منه" ، أي في الجوّ منه ساطع[34].

2– وماءٍ قدْ وردتُ لوصلِ أروى عليه الطّيْرُ كَالوَرَقِ اللَّجِينِ

(33) من أمثلة هذا الموضع المرشح في الإنجليزية :

They will decide to sell every thing before we arrive

I will let you Know whether I will need you here when the doctor arrives.

انظر : Quirk – A Comprehensive, p1042-1043.

Amr – Ambiguity 35.

(34) انظر :الفارسيّ– شرح الأبيات ، 323–324. الشعر في ديوان الهذليين، وهو لساعدة بن جؤية، 188/1.

في هذا الشّعرِ لبسٌ ظاهر ؛ ذلك أنّ "الوَرِقَ اللّجين" تحتملُ ضربين : أحدهما أنْ تكونَ حالاً من الطّير ، والمعنى أنّ الطّيرَ على الماءِ كالوَرِق اللّجِين ، والآخر أنْ يكونَ وصفاً للماء ، وهنا يظهرُ أثرُ مرونةِ الجملةِ العربيّةِ في تخلّقِ اللّبسِ ، فقد يكونُ التّقدير : وماءٍ كَالوَرِق اللّجين وردتُه لوصل أروى عليه الطّير[35].

3- وحاربتُ يومَ الجِسرِ والموتُ كانِعٌ وأبناؤُه بينَ الذّراعينِ والنّحْرِ

يحتملُ تعلّق الظّرفِ "بين" بشيئين ، وهما : كانعٌ ، والتّقديرُ : والموتُ كانعٌ بين الذّراعين والنّحرِ ، أي في هذا الموضعِ ، وإذا كان ذلك كذلك تعيّن إضمارُ خبرٍ لأبنائه –والتّقدير : وأبناؤه كانعةٌ ، وهذا كثيرٌ كقولِنا : محمّدٌ منطلق وزيد ، أي وزيدٌ منطلقٌ ، وقدْ يكونُ متعلّقاً بأبنائه ، والمعنى : وأبناؤُه بينَ الذّراعين والنّحرِ ، فالظّرف خبرٌ لأبنائِه[36] ، والمعنيان: الموتُ كانعٌ بين الذّراعين والنّحر

أبناؤُه بين الذّراعين والنّحر

إخال أنّ ما تقدّم مِن حديثٍ عن اللّبس الآتي مِن التعلّقِ ومرونةِ الجملةِ العربيّةِ ما هو إلاّ نزرٌ يسيرٌ، والمقصدُ مِن ذلك كلّه هو الإلماحُ إلى هذين الموضعين المرشّحَين لوقوعِ اللّبس التّركيبيّ ، ولا يخفى أنّ القرائنَ السّياقيّةَ والمعرفيّة تعملُ على رفعِ كثيرٍ ممّا قدْ يَرِدُ على أبناء اللّغة ، ومِن ذلك قولُه – تنزّه –: ﴿إنّ الذين كَفَروا يُنادَونَ لمَقْتُ اللهِ أكبرُ مِن مَقْتِكُمْ أنفسَكم إذ تُدْعَوْن إلى الإيمانِ فتكفرون﴾[37]. يظهر مِن هذه الآيةِ الكريمةِ أنّ ثمّة مرجعين يتقدّمان الظّرفَ "إذْ" وهما : مَقْتُ اللهِ تبارك ، ومَقتُ الكافرين أنفسَهم ، وقد يتردّد الخاطرُ للوهلةِ الأولى بينَ هذين المقْتَين في ربطِ الظّرفِ بمرجعِه ، ولكنّ المعنى لا يحتمل إلاّ عَوداً واحداً ؛ ذلك أنّه لا يصحّ في الفهمِ أنْ يتعلّقَ بالثّاني لفسادِه لأنّهم لم يمقتوا أنفسَهم في ذلك الوقتِ ، وإنّما يمقتونها في الآخرة[38] ، ولذا يتعيّن أنْ يتعلّقَ الظّرف "إذ" بالمقتِ الأوّل ، والمعنى الكلّيّ : لَمَقْتُ اللهِ إيّاكم وقتَ دعائِكم إلى الإيمانِ فكفركم أكبرُ مِن مقتكم أنفسَكم الآن[39].

6-الحَذفُ:

الحذفُ أو "الاقتصاد في الكلام"[40]، ظاهرةٌ شائعةٌ في الأحداثِ الكلاميّة ، وقدْ تبيّن أنّ لدّلالةِ السّياقِ فضلاً جليلاً في الكشفِ عن المحذوفِ ، والظاهرُ أنّ هذه الظاهرةَ تتجلّى بوضوحٍ في الأحداثِ الكلاميّةِ المنطوقةِ أكثرَ من المكتوبةِ ، وقدْ عرّج اللغويّون القدماءُ على مَطْلبِ هذه المباحثةِ ، فقدْ قرّر المبرّد

(35) انظر: الفارسي – المصدر نفسه، 292–293، والشعر للشماخ، انظر ديوانه، تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر 1968، 320.

(36) انظر : الفارسيّ– المصدر نفسه، 250، ولم أقف على قائله.

(37) الآية (غافر، 10).

(38) انظر : ابن هشام – المغني ، 699/1.

(39) انظر : ابن جنيّ– الخصائص، 259/3، وقد رفض بعض اللغويّين كون " إذ" ظرفاً للمقت؛ ذلك أنهم أضمروا ناصباً يتناول الظرف ويدل عليه المصدر، حتى كأنه قال: مَقَتكم إذ تدعون! انظر هذا الرأي : المصدر نفسه، 259/3. ابن هشام – المصدر نفسه، 699/2– 700، مكي – المشكل ، 634/2، العكبريّ – التبيان، 1116/2. أبو حيان – البحر المحيط، 435/7.

(40) هذه تسمية بييرجيرو. انظر : كتابه علم الدلالة، 108.

قاعدةً عريضةً أساسها التّواصل ، وهي : "فكلُّ ما كان معلوماً في القولِ جارياً عندَ النّاس فحذفُه جائز لعلمِ المخاطَب"[41]، وقد وضع ابنُ هشامٍ ثمانيةَ شروطٍ للحذفِ ، وهي في مجملِها ودِلالتِها الكلّيّةِ تدورُ في فَلَك التّواصل والإفهامِ ، ومِنها وجودُ دليلٍ حاليّ ، ومِن ذلك قولهُم لمن رفع سوطاً : "زيداً" بإضمار "اضربْ" ، وألاّ يكونَ ما يُحذَفُ كالجزءِ ، وألاّ يؤدّيَ حذفُه إلى اختصارِ المختصَر[42]. وقدْ عرّج ابنُ يعيشَ على هذه الظّاهرةِ معوِّلا على دِلالةِ السّياقِ البِنيويّ والحاليّ ، ومِن ذلك إلماحتُه إلى حذفِ المبتدأ أو الخبرِ مع أنّهما متلازمان ، "فلا بدَّ منهما ، إلاّ أنّه قدْ تُوجدُ قرينةٌ لفظيّة أو حاليّة تُغني عن النّطق بأحدِهما ، فيُحْذَفُ لدِلالتِها عليه ، لأنّ الألفاظَ إنّما جيئ بها للدّلالةِ على المعنى ، فإذا فُهِمَ المعنى بدون اللّفظِ جاز ألاّ تأتيَ به، ويكونُ مراداً حكماً وتقديراً"[43].

ولكنْ ، قدْ يَعْرِضُ أنْ يَرِدَ على أهلِ اللّغة لبسٌ آتٍ مِن قِبَلِ هذا المطلب ، وهو مَطْلَبُ إبانةٍ وإفهام ، وإخاله يقعُ على المستويين المنطوقِ والمكتوبِ ، ومِن ذلك أنْ يغدوَ الحدثُ الكلاميُّ المكتوبُ بعد انسلاخِه مِن سياقِه الحيّ مُلبِساً محتمِلاً للعلّة هذه ، ولا يخفى أنّ هذا الحدثَ المكتوبَ فَقَدَ بعض عناصرِ الإبانةِ ، وأدلّةِ المقاميّات ، وقدْ يحدثُ أحياناً ألاّ تشفعَ المقاميّاتُ ودِلالةُ الحالِ في هذه الجهةِ ، فيقع اللّبسُ في الأحداث الكلاميّةِ الحيّةِ ، ولذا يجدُ المرءُ في كثيرٍ من الحالاتِ أنّ الحدثَ الكلاميّ الذي يشتركُ فيه يعوزُه بسطٌ للقولِ وتطويلٌ ، فَيُعقِّبُ على القائلِ إنْ لم يستوقفْه بـ:

أفصح ، ماذا تعني؟ لم أفهم . من الذي جاء؟

1- وممّا وَرَدَ عليّ في هذا المضمارِ أنّ زميلاً طلب إلى آخرَ أن يعرضَ على طلاّبه أوراقَ استبانةٍ لكي يُقيّدوا ملاحظَهم عليها ، ولما عاد الزّميلُ الآخر ساءله الأوّلُ قائلاً : أعطيتَهم؟ فقال الثّاني : نعم ، فقالَ الأوّل مستدرِكاً على سؤالِه بسؤالٍ : وأين الأوراقُ؟ فقال الثّاني وقدْ عقّبَ باعتذارٍ: خلتُكَ تسأل: أعطيتَهم محاضرةً ؟

يظهرُ مِن هذه الحادثةِ شيئان ، أوّلهما أنّ الاجتزاءَ مِن السّياق البنيويّ "أعطيتَهم" الباعثُ الأوّل على تخلّقِ اللّبس ، وثانيهما أنّ سياق الحالِ لم يشفعْ ، ولم يقمْ مقامَ ذلكم المحذوفِ الذي اطّرحه القُطبُ الأوّلُ اقتصاداً وتعويلاً على سماحةِ الأحوال ودِلالاتِها.

2- ومِن مثلِ ما تقدّم أنّ اثنين كانا يتجاذبان حدثاً كلاميّاً ، وقدْ شكا أحدُهما المعيشةَ الضّنْكَ التي تثقلُه ، فقال : المالُ هو المشكلةُ الكبيرةُ! فقال الثّاني مستنكراً عليه قولَه : المالُ هو الذي ييسِّرُ لك مطالبَ الحياةِ ، فقال الأوّلُ : لم أعنِ ما قفز إلى خاطرِك الأوّلِ ، وإنّما قصدتُ : فَقْدَ المالِ وقِلّتَه ، فتقبّل مِنه الأوّلُ ما قصدَ بقبولٍ حسنٍ ؛ إذْ إنّ كلامَه بالمعنى الجديدِ المتجافي عن الحذفِ والاجتزاءِ مِن السّياقِ البنيويّ وافق هوى نفسِه.

ومِن مثلِ ما تقدّم:

---

(41) المبرد – المقتضب، 254/3.

(42) انظر : ابن هشام – المغني 786/2–796.

(43) ابن يعيش – شرح المفصل 94/1.

3- نحن رجالَ العلمِ أمّة نرفض الهوان

ممّا أصلُه النّداءُ الاختصاصُ ، ولكنّ الأخيرَ يفارقُ المنادى في أحكامٍ ، ومِن ذلك أنّه ليس معه حرف نداءٍ لا لفظاً ولا تقديراً ، وأنّه – أعني المخصوص- لا يأتي أوّل الكلامِ ، بل في أثنائِه ، وأنّه يقلُّ أنْ يكونَ عَلَماً[44].

وقدْ يحدثُ تداخلٌ بين هذين المعنيين : النّداءِ والاختصاصِ ، وإخال أنّ علّة هذا الحذفِ لا التّنغيم ؛ ذلكم أنّ الاسمَ المنصوبَ على الاختصاصِ يجبُ حذفُ عاملِه ، والمنادى يجوزُ حذفُ حرفِ ندائه ، ومِن ههنا يحدثُ الاشتباه ، ولعلّ الجملةَ المصنوعةَ : "نحن رجالَ العلم" متردّدةٌ بين المعنيين ، فقدْ يكونُ المقصدُ نداءَ رجالِ العلم في حضرةٍ ما كاجتماعٍ ، وقدْ يكونُ المقصدُ أنّه يخصّ رجالَ العلم ، وهو واحدٌ منهم ، وليس ينفعُ التّنغيمُ في هذا السّياقِ ، ذلك أنّ ثمّ تشابهاً بين تنغيمِ الاختصاصِ وتنغيمِ النّداءِ في هذا الموضعِ على وجهِ التّعيين.

4- ويَرغبُ أنْ يبني المعاليَ خالدٌ ويرغبُ أنْ يرضى صنيعَ الألائِمِ

ممّا ران عليه إلفُ أهل اللّغة أنّ ضميمَ الفعل "رغب" عاملٌ فاعلٌ في تعيينِ معناه ؛ ذلك أنّه يأتي مشفوعاً بحرف الجرّ "الباء" ، أوْ حرفِ الجرّ "عن" ، وعندَ هذا يصبحُ لدى ابنِ اللّغةِ معنيان متضادّان، فقولُنا : رغبَ به معناه أراده وأحبّه ، "ورغب عنه" إذا عافه واطّرحه ، والفرقُ بين المعنيين جليٌّ ، ولا يخفى أنّ اطّراحَ هذا الحرفِ مَجْلَبَةٌ للاحتمالِ والتّوهّم ، وقدْ صَدَقَ هذا الملحظُ على البيتِ المتقدّم ؛ ذلك أنّه يحتملُ المعنيين ، فإنْ قُدِّرَ المحذوفُ "عن" فَقَدْ تعيّن أنْ يكونَ المعنى مدحاً ، وإنْ قُدِّرَ المحذوف "بـ" فقدْ تعيّن أنْ يكونَ ذمّا ، ولا يجوزُ أنْ يجتمعَ في هذا البيتِ تقديرُ الضّميمين للتّناقض الحاصل[45].

ومِن أمثلةِ هذا المطلبِ:

5- ﴿وإذْ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ مِن البيتِ وإسماعيلُ ربَّنا تقبّلْ مِنّا﴾[46]

يظهرُ مِن هذه الآيةِ الكريمةِ أنّ ثمّة شيئاً محذوفاً بعد "إسماعيل" ، ولعلّه "يقولان" أي : وإذْ يرفع إبراهيمُ القواعدَ مِن البيتِ وإسماعيلُ يقولان ربّنا تقبّلْ منّا ، والجملةُ المقدَّرةُ "يقولان" في محلّ نصبِ حال. وَثمّ وجهٌ آخرُ في تقديرِ المحذوف ، وهو "يقول" ، والمعنى : وإسماعيلُ يقولُ ربَّنا...لأنّ البناءَ كان من إبراهيمَ ، والدّعاءَ كان مِن إسماعيلَ عليهما السّلام[47]، ولعلّ هذا يُفسِّر قراءةَ مَن وقفَ على قولِه : من البيتِ Δ ، ثمّ ابتدأ : وإسماعيلُ (يقول) ربّنا ... [48]، والمستصفَى مِن كلّ ما تقدّم أنّ الحذفَ باعثٌ مِن بواعثِ تعدّد المعنى واحتمالِه في بعضِ المواضع.

6- فقلتُ له: لا وَالذي حَجّ حاتِمٌ أخونُكَ عَهداً إنّني غيرُ خَوّانِ

(44) انظر : ابن هشام – أوضح المسالك، 4/69-70، وقد أشار الأستراباذي والسيوطي إلى أن الاختصاص مشبه بالنداء. انظر : شرح الكافية، 392/1 والهمع، 24/2.

(45) انظر : ابن السيد –الإنصاف، 56، ابن هشام – المغني، 682/2، ولم أعثر على قائله.

(46) الآية: (البقرة، 127).

(47) انظر : ابن الأنباريّ – البيان، 123/1، العكبريّ- التبيان ، 115/1 أبو حيان – البحر المحيط، 558/1-559.

(48) انظر : ابن الأنباريّ –المصدر نفسه، 1/ 123.

موضعُ النّظرِ والتأمّل قولُه : "لا والذي حجّ حاتم" ؛ إذ إنّ "الذي" تحتملُ معنيين ؛ فإنْ عنى بـ "الذي" اللهَ سبحانه فالتّقديرُ : لا والذي حجّ له حاتمٌ ، وقدْ حَذَفَ "له" مِن الصّلةِ ، وإنْ عَنَى مِن "الذي" الكعبةَ ، فذكّرَ على إرادةِ البيتِ ، فالضّميرُ في "حجّ " محذوفٌ ، والمعنى : والذي حجّه حاتم[49]، وأحسبُ أنّ التردّدَ بين هذين المعنيين الصّالحين في سياقِهما باعثُه اشتباهٌ في تعيينِ المحذوف.

7- وأهلكَ مهرَ أبيك الدّوا ءُ ليسَ له في طعامٍ نصيب

يقولُ الفارسيّ: "وقدْ جاء في الشّعرِ أبياتٌ مثلُ ذلك في حذفِ المضافِ إليه ، ومع أنّه يؤدّي حذفُه إلى الإلباسِ"[50]. ولعلّ هذا التّقريرَ الذي جاء به الفارسيّ يتوافقُ مع ما في هذا البيت مِن حذفٍ ؛ ذلك أنّ المعنى المتعيّنَ : أهْلَكَ مهرَ أبيك فقدُ الدّواء[51]، فَحَذَفَ المضافَ ليعقبَ هذا الحذفَ التباسٌ قدْ يتعذّر رفعُه عندَ مَن لم يقفْ على تفسيرِ هذا البيتِ ونحوِه ، والحقّ أنّني كنتُ قد عرضتُ هذا البيتَ على ثلّةٍ مِن طلاّبِ العربيّةِ في الدّراساتِ الأولى "البكالوريوس" ، فجنحوا كلّهم إلى أخذِ المعنى على ظاهرِ اللّفظِ ، لا على تقديرِ محذوفٍ ، وحسبي بعدَ هذا العرضِ اقتباسُ قولِ ابن قتيبةَ:

" وقدْ يُشكِلُ الكلامُ ويغمضُ بالاختصارِ والإضمارِ"[52]

وممّا ينضافُ إلى اللّبسِ الآتي مِن الحذفِ بعضُ الأمثلة مِن التّفضيلِ والمقارنةِ ، وذلك نحو:

هي تحبّه أكثرَ منك.

محمّد يحبّ زيداً أكثرَ مِن عمرو

سعيدٌ يلاطف أباه أكثرَ مِن أمّه.

يصدُقُ على هذه الجملِ بأنّها تأتلفُ مِن مبنى مُكثَّفٍ ومعنى مُغلَّفٍ ؛ ذلك أنّ فيها حذفاً وتكثيفاً يفضيان إلى صيرورتِها محتمِلةً ، فالجملةُ الأولى قدْ تعني أنّها تحبّ فلاناً أكثرَ مِن حبّك له ، أوْ أكثر مِن حبّها لك ، ومحمّدٌ يحبّ زيداً حبّاً يفوقُ حبّ عمروٍ لزيدٍ ، أو حبَّ محمّدٍ لعمرو . والجملةُ الثّالثةُ كسابقتِها.

يظهرُ أنّ بسطَ هذا الكلامِ الموجَزِ المكثَّف يعملُ على رفعِ إلباسِه وإشكالِه ، فلو أنّه قيل : سعيدٌ يلاطفُ أباه أكثرَ مِن ملاطفتِه (سعيد) لأمّه لَبَدَت الجملة مُبِينةً عن معناها[53].

7- "حروفُ المعاني" وتعدّد معانيها:

هذا موضعٌ آخرُ من المواضعِ المرشّحةِ لوقوعِ اللّبس ، وليس المقصدُ مِن هذا العنوانِ العريض أنْ يكونَ باب "التّناوب" مفتوحاً باطّرادٍ ؛ ذلك أنّه يفضي إلى تداخلٍ في المعاني ، وقد ألمحَ ابن جنيّ إلى هذا المطلبِ ، فقال :" ...وذلك أنّهم يقولون إنّ "إلى" تكون بمعنى "مع" ويحتجّون لذلك بقولِ اللهِ سبحانه وتعالى :"مَن

---

(49) انظر : الفارسيّ- شرح الأبيات ، 429، وقد نسبه المحقق إلى العريان بن سهلة، وانظر : خزانة الأدب، 56/6-60.

(50) المصدر نفسه، 387.

(51) انظر : المصدر نفسه، 405، وقد اختلف في نسبة هذا الشعر، وهو منسوب في المفضليات إلى ثعلبة بن عمرو. انظر : كلام المحقق.

(52) ابن قتيبة – تأويل المشكل، 218.

(53) انظر: أمثلة هذه الموضع في الإنجليزية :

Quirk- A Comprehensive, p1137.

أنصاري إلى اللهِ" ، أي معَ الله ، ويقولون إنّ "في" تكون بمعنى "على" ويحتجّون بقولِه عزّ اسمُه: "ولأصلبنّكم في جذوعِ النّخلِ" ، أي عليها ، ولسنا ندفعُ أنْ يكون ذلك كما قالوا؟ ولكنّا نقولُ إنّه يكونُ بمعناه في موضعٍ دون موضعٍ ، على حسبِ الأحوالِ الدّاعيةِ إليه ، والمسوِّغةِ له ، فأمّا في كلِّ موضعٍ ، وعلى كلِّ حالٍ فلا ، ألا ترى أنّك إنْ أخذتَ بظاهرِ هذا القولِ غُفْلاً هكذا لا مقيَّداً لزمك عليه أنْ تقول: سرتُ إلى زيدٍ ، وأنت تريدُ معه ، وأنْ تقولَ : زيدٌ في الفرسِ وأنت تريدُ عليه...[54]". وأحسبُ أنّ الذي تقدّم تحوّطٌ حميدٌ لا بدّ منه، وأنّ مِن حروف المعاني ما هو كالمشترَك اللفظيّ ، ومِن ذلك "ما"، فقد تكون اسماً، وقد تكونُ حرفاً ، وإذا كانتْ اسماً فإنّ لها مواضعَ ، ومِن ذلك أنْ تكونَ استفهاماً وشرطاً وتعجُّباً وخبريّة ونكرةً موصوفةً ، وإذا كانتْ حرفاً كان لها مواضعُ ، ومِن ذلك أنْ تكونَ نافيةً وزائدةً ، وفي تأويلِ المصدر[55].

ولكنْ قد يحدثُ اشتباهٌ باعثُه تداخلٌ في معاني الحروف ، كأنْ يتردّدَ المرء بين معنيين أو أكثرَ ، أو قدْ يذهب إلى أنّ حرفاً ما قد قام مقامَ آخرَ ، والأمثلةُ الآتيةُ تجلّي ما تقدّم:

1- جئتكُ بشيءٍ مِن الذّهب

"مِن" في سياقِها مُحتمِلةٌ معنيين ، أوّلهما أنْ تكونَ تبعيضيّةً ، وإذا كان ذلك كذلك فالمعنى أنّ القائلَ جاءَ بنزرٍ يَسيرٍ مِن الذّهبِ ، وجاء كلامُه هذا إخباراً بهذا النّزرِ ، وثانيهما أنْ تكونَ بياناً للجنسِ ، والمقصدُ أنّ القائلَ يرمي إلى إذاعةِ خاطرٍ عند المتلقّي مؤدّاه أنّه لم يأتِ بالفضّةِ ولا الحديدِ ، بل جاء بالذّهبِ، وكانت "مِن" في سياقِها هذا بياناً للجنسِ الذي جاء به المتكلّمُ لا المقدارُ كما في التّأويلِ الأوّل.

2- " فُتِنَ فلانٌ بالمدينةِ "

قد تعني " الباء" الظّرفيّةَ ، والمعنى قريبٌ مِن قولنا : جُنّ فلانٌ في المدينة ، وقدْ تكونُ أنّ المدينةَ كانت سببَ فتنتِه ، ومثلُ ذلك قولُه تعالى:﴿ **فأهلكناهمْ بِذنوبِهم**﴾[56]، أي بسبب[57].

3- " ذهبْنا إلى المنزلِ إذْ أحمدُ موجود "

" إذ" تتردّدُ بين معانٍ متنوعةٍ ، ومِن ذلك أنّها تأتي ظرفاً ، ومنه قولُه تعالى:﴿ فقدْ نصرَه اللهُ إذ أَخرجَه الذين كَفَروا﴾[58]، وأنّها تأتي للتّعليلِ ، وقد حمل ابنُ هشامٍ معنى "إذ" في قولِه تعالى﴿ولنْ ينفعَكم اليومَ إذْ ظلمتُم أنّكم في العذابِ مشترِكون﴾ على هذا المحمِل ، والمعنى الكليّ: ولنْ ينفعَكم اليومَ اشتراكُكم في العذابِ

(54) ابن جنيّ الخصائص ، 309/2- 310، وقد رفض محمد عواد نيابة بعض حروف الجر عن بعضها. انظر : كتابه: تناوب حروف الجر في لغة القرآن،81. ولا بد من الإشارة إلى أن العنوان يشتمل على كلمات تعد أسماء ومن ذلك ما ومن وغير ذلك. والآية (طه ، 71).

(55) انظر : معاني " ما" الرماني – معاني الحروف،86-90.

(56) الآية (الأنفال ، 55).

(57) انظر : معاني " الباء" المصدر نفسه،36-41، المالقي – رصف المباني،142 -152، ابن هشام – المغني،137/1-151، المرادي- الجنى، 36-56.

(58) الآية (التوبة، 40).

لأجلِ ظلمِكم في الدّنيا[59]، والملاحظُ أنّ الجملةَ المتقدّمَ ذكرُها محتمِلةٌ للمعنيين : معنى التّعليلِ والظّرفيّةِ ، والباعثُ على تخلُّقِ هذا اللّبسِ هو أنّها كالمشترَك اللّفظيّ ، وممّا جاء محتمِلاً قولُ المتنبيّ:

4- أمِنَ ازديارَك في الدّجى الرّقَباءُ إذْ حيثُ كنتِ مِن الظّلامِ ضِياءُ

و"إذ" في سياقها المتقدّم متردّدة بين الظّرفيّةِ والتّعليليّة[60].

5- فإنّكَ كاللّيلِ الذي هو مُدْركي وإنْ خلتُ أنّ المنْتأى عنكَ واسعُ

تأتي "إنْ" شرطيّةً ، وهذا كثيرٌ ذائع ، ونافيةً ، ومنه قولُه تعالى:﴿إنِ الكافرون إلاّ في غرورٍ﴾[61]، ومخفّفةً مِن الثّقيلة[62]، وقد يتساءلُ المرء عن المتعيّنِ مِن "إنْ" في الشّعرِ المذكور، فيطّرحُ المعنى الأخيرَ ؛ إذ إنّه لا يستقيمُ البتّة ، فيبقى المعنيان ، وهما الشّرطُ "الجزاء" والنّفي ، وكلاهما صالحٌ في سياقِه ، والمعنى : وما خلتُ أنّ المنْتأى عنك واسعٌ لأنّك كاللّيلِ الذي هو مدركي . وقد يكونُ : إنْ خلتُ أنّ المنتأى عنك واسعٌ أدركتني ولم أفتْك كما يدركُني ، ولعلّ المعنى الأوّلَ أشبهُ[63]، ولا يخفى أنّ ثمّة بوناً بين المعنيين عَريضاً.

6- ﴿ إنّما جزاءُ الذين يحاربون اللهَ ورسولَه ويسعَوْن في الأرضِ فَساداً أنْ يُقتّلوا أوْ يُصلّبوا أو تُقطّع أيديهم وأرجلهم مِن خلافٍ أوْ ينفَوْا مِن الأرضِ، وذلك لهم خزيٌ في الدّنيا ولهم في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ﴾[64].

تتردّدُ " أو" بين معان متباينةٍ ، ومِن ذلك أنّها تأتي للتّخيير ، وذلك نحو: كُلْ سَمكاً أو اشربْ لَبناً، والمعنى أنّه لا يجوزُ لك أنْ تجمعَ بين هذين المطلبين ، بل الفعلُ مُسلَّطٌ على أحدِ هذين ، وتأتي للإباحةِ، ومِن ذلك : جالسْ الحسنَ أو ابن سيرين ، أوْ تعلّمْ الأدبَ أو الفقهَ ، أي كلُّ ذلك مباحٌ للمخاطَب يفعل منه ما شاءَ على الانفرادِ والاجتماع . وتأتي للإضرابِ والتّقسيمِ "التّفصيل"[65]. وقدْ كان تردّدُ " أو" بين معنيين هما التّخييرُ والتّفصيل باعثاً مِن بواعثِ الاختلافِ الفقهيّ ، فقدْ ذهب قومٌ إلى أنّ " أو" في سياقها الشّريفِ للتّخييرِ ، وانبنى على هذه الفهمِ اللغويّ حكمٌ فقهيٌّ مفاده أنّ السّلطانَ مخيَّرٌ في هذه العقوباتِ ، يفعلُ بقاطعِ السبّيل أيّها شاء ، وذهب آخرون إلى أنّ معنى "أو" التّفصيلُ ، " فمنْ حاربَ وقتلَ وأخذَ المالَ طُلِبَ، ومنْ قَتَلَ ولم يأخذ المالَ قُتِلَ ، ومَن أخذ المالَ ولم يَقْتُلْ قُطِعَتْ يدُه ورجلُه مِن خلاف ، واحتجّوا مِن اللّغة بأنّ

---

(59) انظر : ابن هشام- المغني، 113/1، والآية (الزخرف، 39).

(60) انظر : المصدر نفسه، 119/1، وقد أعربها ابن هشام بأنها ظرف مبدل من محل " في الدجى"أو للتعليل والشعر في ديوان المتنبي: (شرح العكبري)، 12/1.

(61) الآية: (الملك، 20)

(62) انظر : معاني " إن" الرماني – معاني الحروف، 74-76، المالقي- رصف المباني، 104- 111، المرادي – الجنى،215/207، ابن هشام – المغني ، 33/1-41.

(63) انظر : الفارسيّ – شرح الأبيات ، 93، والشعر للنابغة الذبياني، انظر ديوانه: 81.

(64) الآية (المائدة، 33).

(65) انظر : معاني " أو" الرماني – معاني الحروف، 77-80، المالقي – رصف المباني، 131-134، المرادي- الجنى،227-232، ابن هشام – المغني، 87/1-95.

العربَ تستعملُ " أو" للتّفصيلِ فيقولون : اجتمع القومُ فقالوا :حاربوا أو صالحوا ، أي قال بعضُهم كذا، وقال بعضُهم كذا" [66].

7- أنّى جئتَ؟

مِن معاني " أنّى" كيف و"من أين" و"متى" ، وقد أُوّل قوله تعالى :﴿ فَأتوا نِساءَكم أنّى شِئتُم﴾ [67] على هذه الأوجهِ المتقدّمةِ[68]. وقد اقتصرَ ابن قتيبةَ على المعنيين الأوّلين قائلاً :"والمعنيان متقاربان يجوزُ أنْ يُتَأَوّل في كلّ واحدٍ منهما الآخر"[69] ، والظّاهرُ أنّ هذا المشترَكَ اللّفظيّ يُفرِز لَبْساً محتمِلاً، فقولُنا " أنّى جئتَ؟" قد يكون المتعيّنُ منه السّؤالَ عن الكيفيّةِ أو المكانِ ، أو الزمانِ .

بعدَ هذا العرضِ المقتَضَب أختتمُ هذه المباحثةَ مشيراً إلى أنّ "معاني الحروف" درس عسيرٌ، ولعلّه ينبني على فرضِ معنى على حرفٍ في سياقِ التّركيبِ أشياءُ كثيرة ، ومِن ذلك "الفاء" في قولهم :"ما تأتيني فتحدّثني"؛ فبتباينِ وجه القولِ على الفاءِ يتباين المعنى تبايناً جليّا، ويتباينُ إعرابُ الفعلِ "تحدّثني" أيضاً ؛ ذلك أنّه يجوزُ الرّفعُ على وجهين ، والنّصبُ على وجهين ، فإذا كانتْ الفاءُ عاطفةً وجب الرّفعُ : ما تأتيني فتحدّثُني، وعندها يشتركُ الفعلان في النّفي ، والمعنى : ما تأتيني وما تحدّثُني . وإذا كانت الفاءُ للاستئنافِ تعيّن الرّفع ، وتباينَ المعنى المنبني على معنى "فاء" الاستئنافِ عن المعنى المبنيِّ على معنى "فاء" العطفِ ، فالفعلُ الثّاني "تحدّثُني" في هذا السّياقِ ؛ سياقِ الاستئنافِ مُثبَتٌ لا منفيّ ، والتّقديرُ : ما تأتيني ، وأنت تحدّثني الآن. وقد يُنصَب الفعلُ "تحدّثني" والفاءُ سببيّة، وله معنيان ، أوّلهما نفيُ السّبب : أمَا تأتيني" فينفي المسبّب : "فأنت تحدّثني" ، وثانيهما : نفي الثّاني فقط ، والمعنى : منك إتيانٌ كثيرٌ ، ولا حديثَ منك[70] ، لعلّ في هذا المثال بياناً عن جدلِ التّأثرِ والتّأثيرِ الواقعِ بين حروفِ المعاني والسّياقِ البِنيويّ.

8-وممّا ينتسبُ إلى هذا المطلبِ ، مطلبِ الحديثِ عن حروفِ المعاني وتناوبِها **"توهّمُ الأصالةِ والزّيادة "** فيها ؛ ذلك أنّ النّظامَ اللغويّ يبيحُ في بعض المواضعِ أنْ تُزادَ لأغراضٍ كالتّوكيدِ ، وقدْ يحصلُ تباينٌ في الفهمِ مردُّه إلى التردّدِ بين كونِها زائدةً أو أصليّة ، ويظهر أنّ هذا التردّدَ موضعٌ مِن المواضعِ المرشّحةِ لإفراز اللَّبسِ والاحتمالِ ، والأمثلةُ الآتيةُ تعضدُ هذا المذهبَ:

1- "ما عدتُ بخائبٍ"

فإذا كانت الباءُ زائدةً فالمعنى : ما عدتُ خائباً ، وقد قرّر المتكلّمُ بزيادتِها التّوكيدَ ، وإذا كانتْ جزءاً أصيلاً مِن السّياقِ البنيويّ فالمعنى أنّ المتكلّمَ لم يرجعْ بأحدٍ خائبٍ ، أو لمْ يرجعْ ومعه خائبٌ ، ومِن مثلِ ما تقدّم قولُ الشّاعرِ:

---

(66) ابن السيد – الإنصاف، 48-49 وانظر : ما قيل في هذه الآية: عبد الوهاب طويلة – أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، 231 وعبد القادر السعدي – أثر الدلالة النحوية واللغويّة في استنباط الأحكام ، 138-140.

(67) الآية: (البقرة، 223)

(68) انظر : العكبريّ – التبيان 178/1، الأستراباذيّ – شرح الكافية، 288/3.

(69) ابن قتيبة – تأويل مشكل القرآن، 525.

(70) انظر : هذه المسألة: سيبويه- الكتاب، 30/3-31، ابن هشام -المغني ، 734/2.

2- فما رَجعتْ بخائبةٍ رِكابٌ حكيمُ بنُ المسيّبِ مُنْتَهاها[71]

والمعنى: خائبةً ، أو بحاجةٍ خائبةٍ.

3- ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا قمتُم إلى الصّلاةِ فاغسِلوا وجوهَكم وأيديَكم إلى المرافقِ وامسحُوا برؤوسِكم﴾[72].

مِن أركانِ الوضوءِ التي تضمّنتها الآيةُ الشّريفةُ مسحُ الرأسِ ، وفيه نصٌّ ظاهرٌ لا ريبَ ، وقد اختلف علماءُ الفقهِ في مقدارِ هذا المسحِ المتعيِّن ، و الظّاهرُ أنّ هذا الاختلافَ الفقهيَّ قائمٌ في أصلِه على اختلافٍ لغويّ[73]، ولعلّ توهّمَ أصالةِ الحرفِ "الباء" وزيادته هي الباعثُ الأوّلُ المفضي إلى هذا الاختلافِ اللغويّ الفقهيّ ؛ فقدْ ذُهِبَ إلى أنّها زائدةٌ ، والمعنى : امسحوا رؤوسَكم ، ومثلُها : لستُ عليكم بشهيدٍ، أي لستُ عليكم شهيداً ، وإذا كان ذلك كذلك فالمتحصّل مِن هذا النّصِّ مسحُ جميعِ الرأسِ ، وقدْ جَنح آخرون إلى عدِّها أصليّةً ، ومعناها التّبعيضُ ، والمعنى : بعض رؤوسِكم ، وقيل هي للإلصاقِ ، والمعنى : ألصقوا المسحَ برؤوسِكم[74]. والحقّ أنّ أمثلةَ هذا الموضع المرشّحِ لتخلُّقِ اللّبس ظاهرةٌ في العربيّةِ في العصورِ المتقادِمَة ، وهي كذلك في التّنزيلِ العزيزِ ، وسَيَرِدُ بعضُ الأمثلةِ في مطلبِ الحديثِ عن مُشكلِ القرآنِ وغريبِ الحديثِ ، والملاحظُ أنّ هذه الزّيادةَ والأصالةَ لا تشيعُ كثيراً في الأساليبِ المعاصرةِ.

9- اشتباهُ الزّمنِ النّحويّ:

تُقسَم الأفعالُ إلى الماضي والمضارعِ والأمر ، وهي قسمةٌ محتكَمُها الأوّلُ الزّمنُ ، وأوّلُ ما يظهرُ مِن هذه القسمةِ العريضةِ أنّها عامّةٌ لا تحدّد زمنَ الفعل إلاّ وهو منسلخٌ مِن سياقِه في الغالب ؛ ذلك أنّ السّياقَ هو المحْتكَم الأوّلُ في تعيينِ زمنِ الفعل ، فقولُنا "يدرس" فعلٌ مضارع ، ولكنّه يغدو ماضياً أو مستقبلاً عند دخولِه في سياقٍ بنيويّ ، ومِن ذلك : "لم يدرسْ" والزّمن ههنا المضيّ ، و "سيدرسُ" : والزّمن ههنا خالصٌ للاستقبالِ ، و "غفَرَ الله لك" ، والزّمن ههنا للاستقبالِ ، فهو دعاءٌ . و"قدْ أقلعتْ الطّائرة" ، والزّمن فيها المضيّ القريبُ ، والذي يبدو مِن زمنِ الأفعالِ وهي مجرّدةٌ أنّه موغلٌ في الإطلاقِ والعموميّة ، ومِن ذلك "درسَ" ، فهذا ممتدٌّ في الزّمنِ الماضي الذي لا يُعْلَم له حدّ ، وقولُنا "سيدرس" ممتدٌّ في الاستقبالِ إلى أجلٍ غيرِ معلومٍ ، ولذا يستعينُ المرسِل لضبطِ الزّمن وِفاقا لمرادِه بأساليبَ متنوّعةٍ ، ومِن ذلك الظّرفُ:

سيدرسُ بعدَ ساعة

درسَ قبلَ يومين

---

(71) الشعر منسوب للقحيف العقيلي في الخزانة137/10: وانظر : ابن هشام – المغني 149/1، المرادي – الجنى، 56، السيوطي – الهمع، 406/1.

(72) الآية: (المائدة، 6)

(73) انظر : عبد الوهاب طويلة – أثر اللغة ، 269–270 عبد القادر السعدي – أثر الدلالة ، 108–110.

(74) انظر : ابن هشام – المغني، 143/1، وقد ذكر معنى الاستعانة، ورجح معنى الإلصاق ، ورجح العكبريّ زيادتها رافضاً كونها للتبعيض. انظر : التبيان 422/1.

لننظرْ في الفعل الماضي ، وهو للمضيّ في الغالبِ ، وقد ينصرفُ إلى الحالِ ، وذلك إذا قُصِد به الإنشاءُ ، ومنه "بِعْتُ"، و"اشتريت" ، و "زوّجتُك ابنتي" ، وغير ذلك مِن ألفاظ العقودِ ؛ "إذْ هو عبارةٌ عن إيقاعِ معنى بلفظٍ يقارنُه في الوجودِ"[75]، وقد ينصرفُ إلى الاستقبالِ ، وذلك نحو:﴿إنّا أعطيناكَ الكوثرَ﴾[76]، والمرادُ بهذا الوعدُ ، وقد ينصرفُ إلى الاستقبالِ إذا اقتضى طلباً ، وذلك نحو : لا تلعبْ ، أو عُطِفَ على ما عُلِمَ استقبالُه ، ومنه "ويومَ يُنفَخ في الصّورِ فَفَزِعَ"[77].

ولكنْ ، قدْ يحدثُ اشتباهٌ في تعيينِ زمن الفعلِ في سياقِه البنيويّ ، ومِن المواضعِ الملتبسةِ أنّه يحتمل المضيَّ والاستقبالَ إذا وقع بعد همزةِ التّسويةِ ، ومِن ذلك:

1-**سواءٌ عليّ أقمتَ أم قعدتَ**

فقدْ يحتملُ أنْ يكونَ المتعيّن مِن هذا التّركيبِ : ما كانَ منكَ قيامٌ أو قعود ، أو ما يكونُ منك مِن ذلك ، والحقّ أنّه موضعٌ ملبسٌ لتردّد الفعلِ بين الزّمنين ، ولكنّه ليس كذلك إذا اقترن الفعلُ بـ "لم" ، لأنّ "لم" مع المضارعِ تردُّه إلى المضيّ ، ومِن ذلك:

2- " سواء عليّ أأنذرتَّهم أمْ لم تنذرْهم"

وههنا يظهرُ فضلُ السّياقِ البنيويّ في تعيينِ زمنِ الفعل ، فقولُه : لم تنذرْهم معناه المضيّ ، فوجب مضيّ الأوّل لأنّه معادلٌ له[78].

ويتردّد الفعلُ بين الزّمنين بعد أداةِ التّحضيض ، وذلك نحو: هلاّ فعلتَ : والظّاهرُ مِن هيئةِ الفعلِ أنّه ماضٍ ، وإذا كان كذلك فهو توبيخٌ ، والوجهُ الآخرُ هو الاستقبالُ ، والمعنى أنّه أمرٌ ، ومنه قولُه – تنزّه – في التّنزيل: " فَلولا نَفَرَ مِن كلِّ فرقةٍ طائفةٍ" والمعنى : لِيَنْفِرْ[79].

ويتردّدُ الفعلُ بين الزّمنين بعد "كلّما". لننظرْ فيما يأتي:

1- كلّما لعبتُم خسرتُم.

2- ﴿كلّما نضجتْ جلودُهم بدّلناهم﴾[80].

يظهرُ مِن الجملةِ الأولى أنّ دِلالةَ الفعل "لعبتُم" في هذا السّياقِ تتردّدُ بين المضيّ والاستقبالِ ، فقدْ يكون المعنى : أنّكم دائماً تلعبون فتخسرون ، وقدْ يكونُ المعنى المضيّ ؛ أي أنّكم كلّما لعبتُم (من قبل) خسرتُم . أمّا قولُه تعالى فهو لا يحتملُ إلاّ زمناً واحداً ، وهو الاستقبالُ[81].

ويتردّدُ الفعل بين الزّمنين بعدَ "حيث"، ومِن ذلك:

1- " ومِن حيثُ خرجتَ فولّ وَجهَكَ"[82]

---

(75) السيوطي– الهمع، 37/1.

(76) الآية: (الكوثر، 1)

(77) الآية (النمل، 87)، وانظر : مطلب هذا الدرس: السلسيلي – شفاء العليل، 110/1–111، السيوطي – المصدر نفسه، 37/1.

(78) انظر : السلسيلي– المصدر نفسه، 110/1–111، السيوطي – المصدر نفسه، 37/1–38

(79) انظر :– السلسيلي – شفاء العليل، 111/1، السيوطي– الهمع، 38/1، والآية (التوبة، 122).

(80) الآية: (النساء، 56).

(81) انظر : السلسيلي – المصدر نفسه، 111/1، السيوطي – المصدر نفسه 38/10.

2- " فأتوهنّ مِن حيثُ أمَرَكم اللهُ"[83]

3- لا يَضيرُني مِن حيثُ أتى الخَطرُ

يظهرُ مِن سياقِ الآية الكريمةِ أنّ الفعل للاستقبالِ ، والدالُّ على هذا قولُه : فولّ ، والمعنى : ومِن حيثُ تخرج . أمّا في الآيةِ الكريمة الثانيةِ فالفعل خالصٌ للمضيّ . أمّا الجملة الثالثةُ فهي محتمِلة ؛ ذلك أنّ "يضيرني" ترشّح الفعل "أتى" للاستقبالِ ، والتّقدير : لا يَضيرُني مِن حيث يأتي ، وقدْ يخلُصُ الفعل للمضيّ ويبقى المعنى على ظاهرِ لفظِه ، ولعلّ للمقاميّاتِ والأبعاد الخارجيّةِ يداً في تعيين أحدِ الزّمنين ، وقدْ يتعذّر ذلك في مواضعَ .

وقدْ يتردّدُ الفعلُ بين الزّمنين مع "إنْ" الشّرطيّة ؛ ذلك أنّها تقلبُ معناه إلى المستقبَل في الغالبِ[84]، ومِن ذلك:

1- إنْ كنتَ عازماً على قتالِه فأنتَ خاسر

يظهرُ مِن هذا السّياق البنيويّ أنّ الفعل "كنتَ" يحتمل أنْ يكونَ خالصاً للمضيّ ، و المعنى أنّك كنتَ قد عزمتَ على قتالِه (في الماضي) ، وقد يكونُ للاستقبال ، والمعنى : أنّك إذا عزمتَ على قتالِه، وأردتَ ذلك فإنّك ستخسرُ ، وممّا يُحْمَل على وجه واحدٍ ، وهو الاستقبال قولُه تعالى: ﴿ وإنْ كنتُم جُنُباً فاطّهروا﴾[85].

وقد يتردّدُ الفعل بين الزّمنين مع "لو" ، وهي شرطٌ للماضي غالباً ، و لكنّها قدْ تَرِدُ للمستقبل ولا تجزمُ ، ولا يخفى أنّ هذا التردّدَ بين الزّمنين مَجْلَبةٌ للّبس ، ومِن ذلك:

2- لو أنّك استقبلتَني لرحّبْتُ بك

قد يكونُ الشّرطُ في هذا السّياقِ مقيَّدا بالماضي ، وقدْ يكونُ مقيَّداً بالمستقبَل ، وممّا حُمِلَ على هذا الوجهِ الأخير قولُ الشّاعر:

ولـــو أنّ ليلـــى الأَخيليّـــةَ ســـلَّمَتْ علـــيّ ودوني جَنْـــدلٌ وصـــفائحُ

لســـلّمتُ تســـليمَ البشاشـــةِ أوْ زَقـــا إليهـــا صَـــدَى مِـــن جانـــبِ القـــبرِ صـــالحُ

والمعنى: لو أنّها تسلّم عليّ[86]

وقدْ يتردّدُ الفعلُ بين الزّمنين بعد "إذا" ، والمشهورُ أنّها ظرفٌ للمستقبَل متضمِّنٌ معنى الشّرطِ، ولكنّها تجيء للماضي في مواضعَ[87]، فيعقبُ هذا التباسٌ . والتّداخل بين أسلوبي الدّعاء والإخبارِ يعمل على اشتباهِ زمن الفعلِ ، ومِن ذلك:

---

(82) الآية: (البقرة، 149).

(83) الآية (البقرة، 222).

(84) يزعم بعض النحويين أن " إن" تبقى على مدلولها من المضيّ، ولا تغير أدوات الشرط دلالتها عليه، انظر : السيوطي – الهمع، 454/2.

(85) انظر : المصدر نفسه، 454/2، والآية (المائدة، 6).

(86) انظر : ابن هشام – المغنيّ، 344/1، وقد رد على من زعم أن " لو" لا تأتي للمستقبل، ابن عقيل – الشرح ،327/2–328 0 السيوطي –المصدر نفسه ، 468/2 والشعر لتوبة بن الحميّر .انظر: ديوانه ، تحقيق خليل العطية ، مطبعة الإرشاد، بغداد ،1968 ، 48

قالَ رجلٌ وفّقه اللهُ إنّ سريّا سيأتي اليومَ

فقدْ تكونُ جملة "وفّقه الله" في محلّ رفعِ صفةٍ لـ "رجل" ، والفعل على هذا الوجهِ ماضٍ، وقد تكونُ دعائيّة ، والفعلُ للطّلبِ والإنشاء ، وهو دالّ على الاستقبالِ ، ولعلّ للتّنغيم فضلاً في ترشيحِ أحدِ هذين المعنيين.

11- اشتراكُ المعاني النّحويّة:

وقد يحدث أنْ يقعَ اللّبس مِن تداخلِ المعاني النّحويّةِ ، كأنْ يكونَ القالب التّصريفيُّ مرشّحاً لمعنيين نحويّين متباينين أو أزيد[88]، ولكنّ للسّياقين : المقاليّ والحاليّ فضلاً في ترجيحِ معنى على غيرِه ، ومِن ذلك قولُه – تنزّه –: ﴿ثمّ استوى إلى السّماءِ وهي دخانٌ فقالَ للأرض ائتيا طوعاً أو كَرْها، قالتا ائتينا طائِعين﴾[89]، فالظّاهر أنّ قولَه–تنزّه–: ائتيا طوعاً أو كَرْها محتمِلٌ ؛ ذلك أنّ هذه الصّيغةَ قد تدلّ على المفعولِ له، وقد تدلّ على الحالِ ، ولكنّ لاستكمالِ السّياق البنيويّ فضلاً كبيراً في تعيينِ المعنى النّحويّ ، فمجيئ "طائعين" حالاً يرجّح أنْ يكونَ المعنى النّحويّ المكتَنفُ في "طوعاً" و "كرها" حالاً[90].

وقدْ يحدثُ أحياناً ألاّ تنفعَ شفاعةُ السّياق ، فيبقى اللّبسُ والاحتمالُ ظاهرَين، ومِن ذلك احتمالُ المصدريّةِ والحاليّة والمفعولِ لأجله:

1- هربتُ خوفاً منك(مفعول له)

2- هربتُ خائفاً منك (حال)

3- ﴿يريكم البَرقَ خوفاً وطمعاً﴾[91]

يظهرُ مِن الجملةِ الأولى أنّ الصّيغةَ تدلّ على معنى "المفعولِ له" ، وهي في الثّانيةِ تدلّ على معنى "الحال" ولكنّها في الآيةِ الكريمةِ محتمِلةٌ ، فقدْ تدلّ على الحالِ ، والمعنى : يريكم البرقَ خائفين وطامِعين . وقد يكونُ المعنى النّحويّ الذي تدلّ عليه هو المفعولُ له ، والمعنى : يُريكم البرقَ لأجلِ الخوفِ والطّمعِ . وقد تدلّ على المصدريّةِ ، والمعنى : فتخافون خوفاً ، و أحسبُه بعيداً ، ومثلُ ما تقدّم:

" جاءَ محمّد رغبةً"

فقد يكون المتعيّن: جاء محمّد للرّغبة : مفعولا له.

---

(87) انظر : ابن هشام – المغني، 129/1.

(88) انظر : نهاد الموسى – اللغة العربية وأبناؤها ، 34.

(89) الآية (فصلت، 11).

(90) انظر : : ابن هشام – المغني 729/2– 730، وقد اشار Nida إلى فضل السياق البنيويّ واستكماله في رفع كثير من مظاهر اللبس، ومن ذلك:I hit the man with a stick فقد تعنى أنني ضربت الرجل الذي كان يحمل عصا، أو أنني ضربت الرجل بالعصا، ولكن توسيع السياق يبدد ما كان محتملاً، ولو أنه قيل:

I hit the man with a stick which I had picked up.

لتعين معنى واحد، انظر : نيدا – نحو علم الترجمة 206–209.

(91) الآية (الرعد، 12).

جاء محمّد يرغب رغبة: مصدراً

جاء محمّد راغباً: حالاً[92]

وقد يحدث اشتباهٌ بين المصدرِ والظّرفِ والحالِ ، ومِن ذلك:

1. سرتُ زمناً طويلاً (ظرفية زمنية)
2. سرتُ سيراً طويلاً (مصدرية)
3. سرته طويلاً (حال)
4. سرت طويلاً (ملبسة محتملة لما تقدم)
5. ﴿وأُزْلِفت الجنّةُ للمتّقين غيرَ بعيدٍ﴾[93].

يظهر مِن الجملةِ الأولى أنّ "طويلاً" صفةٌ لظرف منصوبٍ ، وأنّها في الثّانيةِ صفةٌ لمصدر منصوبٍ ، وأنّها في الثّالثة حالٌ . أمّا في الرّابعةِ فقد اجتمعتْ المعاني المتقدّمةُ على "طويلاً" ، فحدث اشتباهٌ في المعنى النّحويّ الذي تؤدّيه هذه البنيةُ ؛ ذلك أنّها تحتملُ أنْ تكون حالاً وظرفاً ومصدراً ، وكلّ ذلك يجيء مجيئاً صالحاً في ذلكم السّياقِ ، والآيةُ الشّريفة برهان مشرقٌ في الدّلالةِ على تعدّدِ المعاني النّحويّةِ ، فقولُه "غير بعيد" يحتملُ وجوهاً وهي: وأُزلِفت الجنّةُ إزلافاً غيَر بعيد

وأُزلفت الجنّةُ زمناً غيَر بعيد

وأُزلفت الجنّةُ الإزلاف في حالةِ كونِه غيَر بعيد[94]

لننظرْ في الأمثلةِ الآتية:

أنتَ لا تعلمُ شيئاً

وعدتُك وعداً طيّباً

﴿ أنفقوا خيراً لأنفسِكم﴾[95]

ثمّة اشتباهٌ في الجملةِ الأولىبين المفعولِ المطلقِ والمفعولِ به ؛ إذ إنّ "شيئاً" في سياقها محتمِلةٌ للمعنيين؛ فقدْ يكونُ المعنى : أنت لا تعلمُ علمَ شيء ، فحُذِفَ المفعولُ المطلق ، وقد يقعُ الفعل "تعلم" على "شيئاً" فيكونُ مفعولاً به . والجملةُ الثّانيةُ تحتمل المعنيين المتقدّمين ، والحقّ أنّ ثمّة بوناً بين المعنيين طفيفاً ، فكلمةُ "وعداً" تحتملُ وقوعَ الفعل عليها وقوعاً مباشراً ، والمعنى : وعدتُك موعداً طيّباً ، وتحتملُ أنْ تكونَ مفعولاً مطلَقاً . وكلمة "خيراً" في الآيةِ الكريمةِ محتمِلةٌ ، فقدْ تكونُ مفعولاً به صريحاً ، وكأنّ المرادَ بالخيرِ ههنا المال، وقد تكونُ وصفاً لمصدرٍ محذوفٍ ، والتّقديرُ : أنفقوا إنفاقاً خيراً[96]، وقدْ يكونُ المعنى : أنفقوا يكنْ خيراً لأنفسِكم ، وهي على هذا الوجهِ خبرُ "كان" المحذوفة.

---

(92) انظر : ابن هشام – المغني، 720/1

(93) الآية: (ق، 31).

(94) انظر : إعراب الآية: النحاس – إعراب القرآن، 230/4، العكبريّ – التبيان، 1176/2، ابن هشام– المغني، 729/2.

(95) الآية (التغابن، 16)

(96) يضيف ابن الأنباريّ وجها آخر، وهو أن تكون مفعولاً به لفعل محذوف تقديره: وأتوا خيراً. انظر: البيان 443/2.

1- لقدْ كذبتْكَ نفسُك فاصدقَنْها لِمـــــا منّتْـــــكَ تَغْريـــــراً قَطـــــامِ

2- ﴿والذين اتّخذوا مِن دونِ اللهِ قرباناً آلهةً﴾[97]

يجوزُ أنْ يكونَ قوله "تغريراً" مفعولاً له ، أي للتّغريرِ ، ويجوز أنْ يكونَ مفعولاً به ثانياً ، والأمران محتمَلان[98]. أمّا قولُه – تنزّه – "قرباناً" فقد يكونُ مفعولاً له ، فيكونُ جواباً عن سؤال : لماذا اتّخذوا من دونِ اللهِ آلهةً؟ وقد يكونُ مفعولاً به ، "وآلهة" بدلاً منه ، والمعنى اتّخذوا قرباناً ، والقربانُ هو الإلهة . وقد يكونُ منصوباً على المصدرِ[99].

1- أكرمتُك ومحمّداً

2- كَرُمَ زيدُ ضيفاً

في الجملةِ الأولى اشتباهٌ بين المفعولِ به والمفعولِ معه ؛ ذلك أنّ "محمّداً" يجوزُ أنْ يكونَ معطوفاً على المفعولِ، والواو للعطفِ ، ويجوزُ أنْ يكونَ مفعولاً معه ، والواو للمعيّة[100]. أمّا الجملةُ الثّانيةُ فهي محتمِلةٌ معنى التّمييزِ والحالِ ، فإنْ قُدِّر أنّ الضّيفَ هو غيرُ زيدٍ ، فهذا تمييزٌ محوّلٌ عن الفاعلِ ، والمعنى : كَرُم ضيفُ زيدٍ ، وإنْ قُدِّر أنّ الضّيفَ هو زيد نفسُه، احتمل الحالَ ، والمعنى :كرم زيدٌ في حالِ كونِه ضيفاً، واحتمل التّمييز، "وعند قصدِ التّمييز فالأحسنُ إدخال "مِن" ، ومِن ذلك : هذا خاتم حديداً"[101].

وما ينبغي التّنبيهُ عليه في بابِ الحديثِ عن تعدّدِ المعاني النّحويّةِ إقامة بونٍ بين "كان" التّامّة والنّاقصةِ ؛ ذلك أنّ للنّاقصةِ معنى ليس للتّامةِ ، وذلك نحو:

وعينانِ قالَ الله كونا فَكانتا فَعولانِ بالألبابِ ما تفعلُ الخمرُ

والشّعرُ في المثال الثّالثِ يعوزُه رَوِيّة لاستكشافِ معناه ؛ إذْ إنّ "كان" ليستْ ناقصةً، والمعنى المتعيّنُ منها : احدثا فحدثتا ، ولو نصبَ الشّاعرُ "فعولان" لاختلف المعنى، فتعيّن أنّ الله خلقهما وأمرهما أنْ تفعلا ذلك ، وليس ذلك كذلك ، بل هما تفعلان بالألبابِ ما تفعلُ الخمرُ ، " فكان" في هذا الشّعرِ تامّةٌ مكتفيةٌ بمرفوعِها[102].

وممّا يتداخلُ فيه المعنيان قولُه تعالى:

﴿تتّخذون أيمانَكم دَخَلا بينكم أنْ تكونَ أمّةٌ هي أربى مِن أمّةٍ﴾.

---

(97) الآية: (الأحقاف، 28).

(98) انظر: الفارسيّ – شرح الأبيات، 256 وقد عدّ " ما" زائدة في هذا الوجه، والشعر لعنترة، انظر : ديوانه، 242.

(99) انظر: ابن الأنباريّ– البيان، 372/2، وهي عند العكبريّ مفعول به انظر : التبيان، 1158/2.

(100) انظر: ابن هشام – المغني ، 731/1.

(101) المصدر نفسه، 732/1، ولإقامة بون بين التمييز والحال انظر : السيوطي– الأشباه والنظائر، 231/2، وانظر : إن سوب لي– الحال والتمييز نموذج في تأسيس الفرق ورفع اللبس بين المنصوبات، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، 1993.

(102) انظر : ابن جنيّ – الخصائص، 305/3، السيوطي – الأشباه والنظائر، 161/3 والشعر لذي الرمة، انظر ديوانه، (بتحقيق الطباع) ، 197.

فقدْ تكونُ ناقصةً، واسمها "أمّة"، وقد تكونُ تامّة، والمعنى "توجد" وأمّة فاعلُها[103]. وكذلك ينبغي التّفريقُ بين الأفعالِ التي تتردّدُ بين النّقصانِ والتّمامِ ، ومِن ذلك "عاد"، فقد تكونُ شبيهةً بـ "كان" التامّة ، وقد تكونُ شبيهةً بـ "كان" النّاقصة ، فلو قيل:

1-عادَ الرّجل إلى بيته سعيداً

2-عاد الرّجل بصيراً

3-لم يعد خائباً

4- أبلغهم يومَ اللقاء

لَتَعَيّنَ مِن الجملةِ الأولى تمام "عاد"، وتكونُ "سعيداً" منصوبةً على الحال . أمّا الثّانيةُ فهي محتمِلة ، ولعلّ الأرجحَ أنّها ناقصةٌ تطلبُ اسماً وخبراً ، و"بصيراً" في سياقِها خبرٌ ، والمعنى : أصبح الرّجلُ بصيراً . وقدْ تكونُ تامّة، و"بصيراً" حال مِن الرّجلِ . والجملةُ الثّالثة كذلك ، فهي متردّدةٌ بين المعنيين . أمّا الرّابعةُ فثمّة تداخلٌ بين المفعولِ به والمفعولِ فيه ؛ ذلك أنّ ظرفَ الإبلاغِ قدْ يكونُ يومَ اللّقاء، وقدْ يكون المعنى أنّ المرادَ تبليغُه هو زمنُ اللّقاء.

والمُلْحظُ الأخيرُ الذي أختتمُ به هذه المباحثةَ ، مباحثةَ اللّبسِ الآتي مِن التّركيبِ ، أنّ تعدّدَ الوجوه الإعرابيّةِ في كثيرٍ مِن الأمثلة ممّا لا يَلحق بِرَكْبِ اللّبسِ والاحتمال ؛ إذْ إنّها تعودُ إلى خلافٍ منهجيٍّ أو لَهْجِيٍّ[104]، فليس مِن اللّبسِ التردّدُ في إعراب "أحد" بين الفاعلِ لفعلٍ محذوف ، أو مذكورٍ ، أو مبتدأ في قولنا : إن أحدٌ جاء فأكرمْه . وليس مِن اللّبس التّباينُ في خبر "ما" الحجازيّةِ والتميميّةِ ، وليس مِن اللّبسِ التردّد في إعرابِ "زيد" بين المستثنى والبدلِ في قولِنا : ما جاءني أحدٌ إلا زيدٌ (أو زيداً)[105] . وليس يُنسى أنّ كثيرا مِن أمثلةِ اللّبسِ التركيبيّ وغيرِه ممّا يرفعُه السّياقُ والقرائنُ وحقائقُ الحياةِ كما تقدّم قَبْلاً.

المصادر والمراجع:

- الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن (686هـ) - شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق إميل يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1998م.
- ابن الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد (577هـ) –الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، القاهرة، (د.ت).
- ابن الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد (577هـ) – البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق طه عبدالحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ، 1980م.

(103) الآية (النحل، 92)، وانظر ابن الأنباري – البيان، 83/2، العكبري- التبيان، 805/2.

(104) انظر: نهاد الموسى- العربية وأبناؤها، 19- 33.

(105) انظر : هذه المسألة: ابن الأنباريّ – الإنصاف، 276/1، ابن هشام – المغني، 731/2.

- ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (328هـ) - الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1987م.
- إن سوب لي – الحال والتمييز : نموذج في تأسيس الفرق، ورفع اللبس بين المنصوبات، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، 1993م.
- البغدادي، عبدالقادر بن عمر(1093هـ) –خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1986م.
- تشومسكي ، نعوم- البنى النحوية، ترجمة يوئيل عزيز، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م.
- تشومسكي، نعوم- محاضرات ودن :تأملات في اللغة ، ترجمة مرتضى باقر وعبدالجبار علي، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م0
- الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد (430هـ)- فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط3، دار الفكر،القاهرة، (د.ت).
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (392هـ)- الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ودار الشؤون الثقافية، بغداد، 1990م.
- جيرو، بيير- علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي، ط1، دار طلاس للنشر،دمشق، 1992م .
- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى(384هـ)- معاني الحروف، تحقيق عبدالفتاح شلبي، ط2، مكتبة الطالب الجامعي، السعودية، 1986م.
- الزَّرَكَشي، بدر الدين محمد بن عبدالله(794هـ) – البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1987م.
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل (316هـ) – الأصول في النحو، تحقيق عبدالحسين الفتلي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1996م.
- السلسيلي، أبو عبدالله محمد بن عيسى(770هـ) – شفاء العليل في إيضاح التسهيل، تحقيق الشريف عبدالله البركاتي، ط1، المكتبة الفيصلية،مكة، 1986م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان(180هـ)- كتاب سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م.
- ابن السيد، عبدالله بن محمد البطليوسي (521هـ) – الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم، تحقيق محمد الداية، ط3، دار الفكر، بيروت، 1987م.

- سيرل، جون- تشومسكي والثورة اللغوية، الفكر العربي (الألسنية أحدث العلوم الإنسانية)، العددان 8-9، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية،1979م
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (911هـ) – الأشباه والنظائر في النحو، مراجعة فايز ترحيني، ط3، دار الكتاب العربيّ، بيروت، 1996م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(911هـ)-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- طاهر سليمان حموده- أسس الإعراب ومشكلاته، الدار الجامعية، الإسكندرية، -198م0
- عبدالقادر السعدي- أثر الدلالة النحوية و اللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية ، ط1، مطبعة الخلود، بغداد، 1986م.
- عبد الوهاب طويلة- أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، دار السلام، القاهرة، 1414هـ.
- ابن عصفور، علي بن مؤمن (669هـ) – المقرب، تحقيق أحمد عبدالستار الجواري، عبدالله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد (د.ت).
- ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله (769هـ)- شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط1، دار الخير، بيروت، 1990م.
- العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين (616هـ)- التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي البجاوي، ط2، دار الجيل، بيروت، 1987م.
- الفارسيّ، أبو علي الحسن بن أحمد (377هـ) – شرح الأبيات المشكلة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، ط1، دار القلم، دمشق، دائرة العلوم والثقافة، بيروت، 1987م.
- الفارقي، أبو نصر الحسن بن أسد (487هـ) – الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب، ط3، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (276هـ) –تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، 1973م.
- المالقي، أحمد بن عبدالنور(702هـ) – رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق،1975م0
- ابن مالك، جمال الدين الأندلسيّ (672هـ) – شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع، الصحيح ، تحقيق طه محسن، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، 1985م.

- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (285هـ) – المقتضب، تحقيق محمد عضيمة، ط1، عالم الكتب، بيروت ،1968م0
- محمد حماسة عبداللطيف – العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، جامعة الكويت، الكويت، 1984م.
- محمد عواد – تناوب حروف الجر في لغة القرآن، ط1، دار الفرقان عمان، 1982م.
- المرادي، الحسن بن قاسم (749هـ)– الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.
- مكي بن أبي طالب (437هـ) – مشكل إعراب القرآن، تحقيق حاتم الضامن، وزارة الإعلام، بغداد، 1975م.
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (338هـ) –إعراب القرآن، تحقيق زهير زاهد، ط3، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت، 1988م.
- نهاد الموسى– اللغة العربية وأبناؤها ، أبحاث في قضية الخطأ وضعف الطلبة في اللغة العربية، ط2، مكتبة وسام، عمان، 1990م.
- نيدا، يوجين – نحو علم الترجمة، ترجمة ماجد النجار، وزارة الإعلام، بغداد، 1976
- ابن هشام ، جمال الدين بن هشام (761هـ) – أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1996م.
- ابن هشام، جمال الدين بن هشام(761هـ)– مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك، ومحمد حمدالله، ط2، مكتبة سيد الشهداء، (د.ن)، 1972م.
- ابن يعيش، موفق الدين (643هـ) – شرح المفصل، عالم الكتب ، بيروت، (د.ت).
- Akmajian, Linguistics: An Introduction to Language and Communication, The MIT Press, Massachusetts, 1979.
- Amr, M., Ambiguity in English Newspaper Headlines, University of Jordan, 1994.
- Chomsky, N., Aspects of the Theory of Syntax, The M.I.T Press, 1965.
- Fodor, J., and Katz, Jerrold, The Structure of Language : Readings in the Philosophy of Language, Massachusetts, Prentice- Hall, New Jersey 1964.

- Kats, J. Symantic Theory, Harper and Row, New York, 1974.

- Kooij, J., Ambiguity in Natural Language: An Investigation of Certain Problems in its Linguistics Description, North Holand, Publishing Company, Amsterdam, 1971.
- Quirk, A Comprehensive Grammar of the English Language, Longman, New York, 1991.
- Schlesinger, Production and Comprehension of Utterances, Lawrence Erlbaum, N.j., 1977.
- Soon, S., Lexical Ambiguity in Poetry, Longman Publishing, New York,

اللَّبْس التّركيبيّ في العربيّة : المواضِعُ والنّماذج –الملخص

د.مهدي أسعد عرار– جامعة بيرزيت

من المقرَّر المستحكِم أنّ ظاهرة اللّبس تتجلّى في مستويات اللّغة المتباينة ، كاللّبس الواقع في المستوى الصوتيّ ، والصرفيّ ، والتركيبيّ ، والمعجميّ ، و الأسلوبيّ . وأنّ اللّبس ظاهرةٌ لغويّة عامّة ليست العربيّة بِدَعا بين اللّغات في هذه الظّاهرة ، وهذا يعيدنا ثانيةً إلى استرفاد أنظار "تشومسكي" المعجِبةِ القائلة "بالعموميّات اللّغويّة" ، فليست ثمّة لغة تخلو منها ، وأنّ ثمّ بوناً بين مصطلحين يتداخلان في يومنا هذا ، وهما اللّبس والغموض؛ إذ ليس كلّ غموضٍ لَبسا ، فاللّبس معناه تعدُّد المعاني ، وانتفاءُ الوقوف على أحدهما على وجه التّعيين ، مثل "مختار" في اللّبس الصّرفيّ التي تحتملُ معنى الفاعليّة والمفعوليّة ، و"ضَرْب الوالدَين" في اللّبس التّركيبيّ ، و"العَيْن" في اللّبس المعجميّ.

أمّا لبس هذا المِطْلَب ، فهو واقع في التّركيب ، وليس معنى هذا أنّ اللّبس في هذا المضمارِ آتٍ من صعوبة المفرداتِ وغموضِها في سياقِها ، بل الأمر بالضّدّ ، فقد يحدث أنْ يَرِدَ على المرء جملٌ سمحةُ القياد في ظاهرها ، ولكنّها مُعتاصة في دلالتِها لما يكتنفُها من لبس واقع في تركيبها، وفيما يأتي محاولة لاستشرافِ المواضع التي ترشِّحُ لتخلُّقِ اللّبس في المستوى التّركيبيّ :

- مرجعُ الضّمير:

كثيراً ما يَعْدِل المتكلّم عن تكرارِ الأسماءِ معوّلاً على بديلٍ يقوم مقامَها ، وهو الضّمير ، والظّاهر أنّ للعدول أسباباً خاصّة، ولكن قد يحدث اشتباه في تعيين مرجع الضمير فيقع اللبس ، ومن ذلك:

نصحتُ لأختي أن تبقى مع أمّي لأنّها مريضة.

إذا ما عَرَضَ في جملة ما مرجعان متّفقان في ملامحهما مع ملامحِ الضّمير فإنّ ذلك مَزْلَقَة للولوج في اللّبس في بعض الأحيان ، ففي الجملةِ الأولى نجد أنّ تطابقاً واقعاً بين الضّمير والاسمين اللّذين يتقدمانه : " أختي وأمي"؛ ذلك أنّ الضّمير يدلّ على التّأنيثِ والإفراد ، والأمّ والأختُ لا تخرجان عن هاتين الفصيلتين ، ولذلك يقع الخاطرُ في حَيْرَة واشتباهٍ باعثُها تعيين المرجع ، أهو الأمّ أم الأخت:

- الإضافة:

والإضافةُ مِن المواضع المرشِّحةِ لتخلّق اللّبس والاحتمالِ ، والمتعيّن مِنها أنْ يُضاف المصدرُ إلى الاسم ، وذلك نحو "ضَرْب النّاس" ، والظّاهر مِن هذا التّركيبِ السّطحيّ أنّ المضاف إليه "النّاس" متردِّدٌ بين معنيين : الفاعليّةِ والمفعوليّة ، ولكنْ، قدْ يتعيّن المراد باستشرافِ مجموعة مِن العواملِ متضافرة ، وذلك نحو منطقِ الأشياءِ

في العالم الخارجيّ ، ووِشاية السّياق البنيويّ ، والمقاميّات، ولكنْ قد يحدث أنْ يقعَ لَبس باعثه هذا التّركيبُ الموهِمُ المكثَّف ، ومن ذلك: سَرِيّ يرغب في مساعدة الأساتذة ، ويكرهُ إزعاجَ الطلاّب، ويحبّ زيارةَ الأصدقاء : يظهرُ مِن هذه التّراكيبِ الإضافيّة ملحظُ اللّبس والتردّد بين المعنيين ، فَسَريّ يرغب في أنْ يساعد الأساتذة ، وقدْ يكون المتعيّن أنّه يرغبُ في أنْ يساعده الأساتذة ، وثمّة بَوْن بين المعنيين جليّ ، فالأساتذةُ في البِنية الأولى مفعولٌ به ، وفي الثّانيةِ فاعل .

– خَفاء العلامةِ الإعرابيّة:

مِن بَدهيّ القولِ أنّ العلامةَ الإعرابيّة دليل هادٍ إلى المعاني النّحويّةِ العريضة كالفاعليّةِ ، والمفعوليّة، والإضافةِ ، ولكنْ ، قد يحدثُ أنْ يتعذّرَ ظهور العلامةِ الإعرابيّة تعذّراً يُفضي إلى التباسٍ في المعنى النّحويّ الذي تؤدّيه الكلمة ، وليس المقصدُ مِن هذا التّقريرِ أنّ كلّ خفاء للعلامةِ يفرز اللّبسَ والاحتمال ؛ ذلك أنّنا نَرِدُ على كثيرٍ من الجملِ التي لا تظهر فيها العلامة ، فنقتنصُ المتعيّن منها مسترفدين قرائنَ سياقيّة وأنظاراً خارجيّة ، وأمثلةُ هذا الملحظِ كثيرةٌ كثرةً تُغني عن الوقوفِ عندها:

رأيت رفيق أخي مصطفى.... رأيت أخا الطالب الأعمى

ها نحن أولاءِ نعودُ ثانيةً إلى خفاء العلامةِ المؤْذِنِ بالولوج في تِيهِ التّعدّدِ واللّبس؛ فالأعمى قد يكونُ الطّالبَ، وقدْ يكونُ أخاه ، ومصطفى قد يكون الرفيق ، وقد يكون أخاه:

–التعلق:

قدْ يحدثُ أنْ تتداخلَ العلاقاتُ السّياقيّة التّركيبيّة لتُفضيَ إلى اشتباهٍ في ربط بعضِ الكلماتِ بما تعودُ إليه ، ولهذا الاشتباهِ مواضعُ معيَّنة ، ومِن ذلك اشتباهٌ في تعلُّق الاسمِ الموصولِ في حالاتٍ مخصوصةٍ ، والصّفة،وصاحب الحال ، وتعيين المستثنى منه، ولعلّ في الأمثلةِ الآتيةِ بياناً تطبيقيّاً يجلّي هذا الوصف النظري:

رأيت صديقَ أخي إبراهيمَ –رأيت شقيقة أختي سعادَ – رأيت غلامي الفريقين الذين فازا

ومِن اللّبس الآتي مِن مَلْحَظ "التعلّق" اشتباهُ تعيينِ المستثنى منه ، وذلك نحو :"علمتُ بنجاح الطلاّب ، وعودةِ الأساتذةِ إلاّ بعضَهم". وههنا يستوقف السامعَ سؤالٌ : هل يعودُ المستثنى "بعضَهم" على الكلّ : أي على الطلاّبِ والأساتذة ، أمْ يعودُ على الأساتذةِ فقط؟

–مرونة الجملة العربية:

ومِن المواضعِ التي تتضافرُ مع ملحظِ "التعلّق" اللّبسُ الآتي مِن مرونةِ الجملةِ العربيّةِ ؛ ذلك أنّ تغييرَ مواقعِ الكلم الأصليّة يعمل – في مواضعَ – على اشتباهٍ في العلاقاتِ السّياقيّة البِنيويّةِ ، فقدْ يطولُ الفصلُ بين العاملِ والمعمول ، فيُؤْذنُ هذا بتداخلِ العلاقاتِ البنيويّةِ ، ليعقبَه وهمٌ واحتمالٌ ، وقدْ يُحْدِثُ تعدّد العواملِ في السّياقِ الواحدِ اشتباهاً في تعيينِ المعمول الذي يتعلّقُ بعاملِه:

لننظرْ في الجملِ الآتيةِ: 1– قررتُ أن أسافر إلى عكّا يوم الاثنين . عملتُ بمجيئ سريّ اليومَ.

–الحَذفُ:

الحذفُ أو "الاقتصاد في الكلام"، ظاهرةٌ شائعةٌ في الأحداثِ الكلاميّة ، وقدْ تبيّن أنّ لدّلالةِ السّياقِ فضلاً جليلاً في الكشفِ عن المحذوفِ ، والظاهرُ أنّ هذه الظاهرةَ تتجلّى بوضوحٍ في الأحداثِ الكلاميّةِ المنطوقةِ أكثرَ من المكتوبةِ ، وقدْ عرّج اللغويّون القدماءُ على مَطْلبِ هذه المباحثةِ ، فقدْ قرّر المبرّد قاعدةً عريضةً أساسها التّواصل ، وهي : "فكلُّ ما كان معلوماً في القولِ جارياً عندَ النّاس فحذفُه جائز لعلمِ المخاطَب"، ولكنْ ، قدْ يَعْرِضُ أنْ يَرِدَ على أهلِ اللّغة لبسٌ آتٍ مِن قِبَلِ هذا المطلب ، وهو مَطْلَبُ إبانةٍ وإفهام ، وإخاله يقعُ على المستويين المنطوقِ والمكتوبِ ، ومِن ذلك أنْ يغدوَ الحدثُ الكلاميُّ المكتوبُ بعد انسلاخِه مِن سياقِه الحيّ مُلبِساً محتمِلاً للعلّة هذه ، ولا يخفى أنّ هذا الحدثَ المكتوبَ فَقَدَ بعض عناصرِ الإبانةِ ، وأدلّةِ المقاميّات ، وقدْ يحدثُ أحياناً ألاّ تشفعَ المقاميّاتُ ودِلالةُ الحالِ في هذه الجهةِ ، فيقع اللّبسُ في الأحداث الكلاميّةِ الحيّةِ ، ولذا يجدُ المرءُ في كثيرٍ من الحالاتِ أنّ الحدثَ الكلاميّ الذي يشتركُ فيه يعوزُه بسطٌ للقولِ وتطويلٌ ، فَيُعقِّبُ على القائلِ إنْ لم يستوقفْه بـ: أفصح ، ماذا تعني؟ لم أفهم . من الذي جاء؟

– "حروفُ المعاني" وتعدّد معانيها:

هذا موضعٌ آخرُ من المواضعِ المرشّحةِ لوقوعِ اللّبس ، وليس المقصدُ مِن هذا العنوانِ العريض أنْ يكونَ باب "التّناوب" مفتوحاً باطّرادٍ ؛ ذلك أنّه يفضي إلى تداخلٍ في المعاني ، وأحسبُ أنّ الذي تقدّم تحوّطٌ حميدٌ لا بدّ منه، وأنّ مِن حروف المعاني ما هو كالمشترَك اللفظيّ ، ومِن ذلك "ما"، فقد تكون اسماً، وقد تكونُ حرفاً ، وإذا كانتْ اسماً فإنّ لها مواضعَ ، ومِن ذلك أنْ تكونَ استفهاماً وشرطاً وتعجُّباً وخبريّة ونكرةً موصوفةً ، ولكنْ قد يحدثُ اشتباهٌ باعثُه تداخلٌ في معاني الحروف ، كأنْ يتردّدَ المرء بين معنيين أو أكثرَ ، أو قدْ يذهب إلى أنّ حرفاً ما قد قام مقامَ آخرَ ، والأمثلةُ الآتيةُ تجلّي ما تقدّم ، ف"من"في قولنا "جئتكُ بشيءٍ مِن الذّهب" قد كون للتبعيض أو بيان الجنس ، والفرق بينهما جلي.

– اشتباهُ الزّمنِ النّحويّ:

تُقسَم الأفعالُ إلى الماضي والمضارعِ والأمر ، وهي قسمةٌ محتكَمُها الأوّلُ الزّمنُ ، وأوّلُ ما يظهرُ مِن هذه القسمةِ العريضةِ أنّها عامّةٌ لا تحدّد زمنَ الفعل إلاّ وهو منسلخٌ مِن سياقِه في الغالب ؛ ذلك أنّ السّياقَ هو المحْتكَم الأوّلُ في تعيينِ زمنِ الفعل ، ولكنْ ، قدْ يحدثُ اشتباهٌ في تعيينِ زمن الفعلِ في سياقِه البنيويّ ،فقد يحدث أن يحتمل المضيَّ والاستقبالَ ، وقد يكون زمنه مخالفا للصيغة التي ورد عليها، وأمثلة هذا كثيرة في البحث.

اشتراكُ المعاني النّحويّة:

وقد يحدث أنْ يقعَ اللّبس مِن تداخلِ المعاني النّحويّةِ ، كأنْ يكونَ القالب التّصريفيُّ مرشّحاً لمعنيين نحويّين متباينين أو أزيد، ولكنّ للسّياقين : المقاليّ والحاليّ فضلاً في ترجيحِ معنى على غيرِه ، وأمثلة هذا الموضع كثيرة في البحث.